

48
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
تاليف : ر . ل . ستيفنسون
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق
دكتور جيكل
ومستر هايد

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



هذا هو لقاؤنا الثانى مع (ر. ل. ستيفنسون) كاتب المغامرة البريطانى عظيم الشهرة .. وقد آثرت أن أعيد نشر نفس النبذة السابقة كما هى :

لو أن أحدًا حاول أن يذكر قائمة بأفضل عشر قصص مغامرات فى تاريخ الأدب ، لكان من المحتم أن تتضمن القائمة قصة (جزيرة الكنز) لـ (ر. ل. ستيفنسون) . ولسوف يتكرر الأمر ذاته لو اخترنا قائمة من خمس قصص ، أو ثلاث قصص ، ولو اخترنا قصة واحدة لكان هناك احتمال لا بأس به أن تكون هى (جزيرة الكنز) ..

كلنا نعرف أحداث القصة، لكننا لا نعرف شيئًا تقريبًا عن مبتدعها ..

مولود فى (إدنبرة) عام ١٨٥٠.. دارس للقانون .. معتل الصحة إلى الحدّ الذى يوحى فى كل لحظة بأنه يُحتَضر الآن ... هذا هو (روبرت لويس ستيفنسون) شاعرنا وأديبنا الشهير ..

لقد ترك مهنة القانون وتفرغ للأدب، وكان كثير الأسفار .. وفى (كاليفورنيا) قابل من ستكون زوجته، فعاد معها إلى (أسكتلندا) حيث كتب رائعته (جزيرة الكنز) فى صيف عام ١٨٨١.

ولم يكن قد كتب أفضل رواياته بعد .. ففى عام ١٨٨٦ قدم لنا رائعته (الحالة الغريبة لدكتور جيكل ومستر هايد)، وهى التى صارت إحدى كلاسيكيات أدب الرعب وعلم النفس معًا .. وقدمتها السينما مرارًا بعد وفاته ..

وفى عام ١٨٨٨ ارتحل إلى (هونولولو) .. ثم إلى جزيرة (ساموا) من جزر جبل (طارق) حيث قدم روايتيه الشهيرتين (كاتريونا) و(الاختطاف) ..

وفى عام ١٨٩٤ انتصر المرض أخيرًا بعد صراع دام أربعة وأربعين عامًا، ظل كاتبنا طوالها ينتظر نهايته فى كل لحظة ..

مات وهو يملى روايته (سيد الأسماك فى هرميستون) وكأنما الموت لم يطق صبرًا حتى يفرغ من كتابتها .. لقد انتظر طويلاً وهو ذا الوقت قد حان ...

لكن (ر.ل. ستيفنسون) عاش طويلاً جدًا فى وجداننا، وهو واحد من الموهوبين القلائل الذين لم يعد أدب المغامرة بعدهم كما كان قبلهم ..

فى النهاية نقول إننا نلتقى اليوم مع تحفته الشهيرة (الحالة الغريبة للدكتور (جيكل) والمستر

(هايد) ، والتى ترجمت كثيرًا جدًا ، لكننى لاحظت أن كثيرًا من شباب القراء عندهم فكرة عامة عن الموضوع لكن الرواية نفسها لم تقع فى يد أحدهم .. أما الترجمات التى رأيتها - أنا على الأقل - فمختصرة أكثر من اللازم أو مضطربة الأسلوب ، ولم يسعفنى الحظ كى أجدها مترجمة بوساطة من هم فى وزن (عمر عبد العزيز أمين) أو (حلمى مراد) ، لهذا رأيت أن الجديد الذى أضيفه هنا هو ترجمتها بأسلوب أحاول أن يكون متماسكًا .. فهل أنجح فى هذا ؟ القارئ وحده يستطيع الحكم ...

د . أحمد خالد توفيق

قائمة بأشهر أعمال (ر.ل. ستيفنسون)

جزيرة الكنز .

كاتريونا .

الحالة الغريبة لـ . د . (جيكل) ومستر (هايد) .

الاختطاف .

رحلة داخلية .

دراسات مألوفة للإنسان والكتب .

الليالى العربية الجديدة .

الأمير أوتّو .

الرجال السعداء .

فى بحر الجنوب .

قصص وحكايات خيالية .

الصلوات .

الأب داميان .

عظة مسيحية .

* * *

قصة الباب

كان المستر (أترسون) المحامى رجلاً ذا سحنة مكفهرة، لا تشرق بابتسامة أبدًا .. باردًا نحيلاً قليل الكلام بطيئًا فى إظهار عواطفه، وبرغم هذا كان لحد ما لطيفًا .. وحين كان يجلس مع الأصدقاء ويروق له الشراب، كان شىء بشرى ما يلتمع فى عينيه .. شىء لم يجد طريقه قط إلى كلامه . شىء لا يظهر فقط على وجهه الراضى بعد العشاء، لكن يظهر أكثر فى أفعال حياته .

كان صارمًا مع نفسه فى كل شىء .. وكان يحب المسرح لكنه لم يدخل مسرحًا منذ عشرين عامًا . إلا أنه كان يملك القدرة على تحمل الآخرين، وكان يميل إلى أن يعاون البشر الذين ورطتهم الآثام .

اعتاد أن يقول :

- « أنا أميل إلى أسلوب (قابيل) .. أترك أخى يلقى مصيره بطريقته .. »

وبهذه الصفة كان من أقل الناس شهرة وأقلهم تأثيرًا فى حيوات العامة . ولم يكن على استعداد لتغيير ولو طفيف فى طريقته هذه ..

لا جدال فى أن النجاح كان سهلاً بالنسبة للمستر (أترسون)، لأنه لم يكن من النوع الذى يظهر عواطفه، وحتى أصحابه كانوا يتمتعون مثله بتلك الطباع البسيطة .. إن من سمات الرجل المتواضع أن يقبل أصدقاءه كما شكلهم له القدر، وكان المحامى من هذا الطراز . كان رفاقه من أقاربه أو الذين عرفهم لفترة طويلة .. وكانت عواطفه نحوهم كاللبلاب هى نتيجة لمرور الزمن وليس لجدارتهم بها .. على هذا المنوال - بلا شك - كانت الصداقة التى ربطته بمستر (رتشارد إينفيلد) قريبه البعيد،

عظيم الشهرة فى البلدة .. وكان اللغز الذى تمنى كثيرون حله ، معرفة ما الذى وجده هذان الرجلان فى بعضهما ، وما هى المواضيع المشتركة بينهما . قال الذين قابلوهما فى نزهات يوم الأحد إنهما لا يتكلمان فى أى موضوع ، ويرحبان براحة ظاهرة لدى ظهور صديق ثالث . وبرغم هذا فإن الرجلين كانا يعلقان أهمية بالغة على هذه النزهات ، ويعتبرانها جوهرة الأسبوع ، بل وكانا يرجئان استدعاءات العمل كى لا يقاطعهما أحد .

ذات مرة قادتهما واحدة من هذه الجولات إلى شارع جانبى فى الركن المزدحم من (لندن) . كان الشارع صغيرًا ومما يمكن أن تعتبره هادئا .. لكنه كان مركزًا للتجارة المزدهرة طيلة أيام الأسبوع .. وكان سكان هذا المكان يكسبون جيدًا ويأملون فى أن يحققوا أكثر ، وكانت واجهات المحلات تبدو كأنما تدعوك إليها ، كأنما هى صف من البائعات المبتسمات .

حتى فى يوم الأحد برغم أن الشوارع كانت تدارى سحرها وقد خلت من المارة ، فإنها كانت تتألق كأنها نار فى الغابة على النقيض من البيوت الكئيبة المجاورة .

كان هناك بابان فى ركن المكان ومدخل ساحة ، وعند هذه النقطة بالذات يوجد مدخل مجموعة من المبانى كئيبة المنظر . كان ارتفاع المبنى طابقين وبلا نوافذ ، ولا شىء إلا بابًا فى الطابق السفلى ، والمكان كله يحمل علامات الإهمال والقذارة التى طالت . لم يكن على الباب الذى امتلأ بالخدوش جرس ولا مقرعة . وكان مأوى للمتسكعين الذين أشعلوا أعواد ثقابهم على ألواحه ، وأطفال المدارس جربوا مُداهم على جدرانه ، ولمدة تربو على الجيل لم يبد أن هناك من حاول طرد هؤلاء الزوار العشوائيين أو إصلاح ما خربوه .

كان مستر (إينفيلد) والمحامى يقفان على الجهة

الأخرى من الشارع الجانبى ، ولكن حين صارا فى مواجهة المدخل رفع الأول عصاه وأشار وقال :

ـ « هل لاحظت هذا الباب من قبل ؟ »

فلما رد مرافقه بالإيجاب ، قال له :

ـ « لقد ارتبط فى ذهنى بقصة عجيبة للغاية .. »

سأله مستر (أترسون) وقد تغير صوته :

ـ « أحقًا ؟ ما كان هذا ؟ »

ـ « كان نفس الطريق .. كنت عائدًا لدارى من موضع فى نهاية العالم حوالى الثالثة من صباح يوم شتوى مكفهر .. واقتادتنى خطواتى إلى موضع من المدينة لم تكن ترى فيه حرفيًا إلا المصابيح . شارع تلو شارع والقوم نيام . شارع تلو شارع كلها مضاءة كأنما هو احتفال .. وكلها خالية كأنما هى كنيسة . فى النهاية صرت كإنسان ينصت وينصت ويتحرق شوقًا لرؤية رجل شرطة . فجأة رأيت شخصين .. الأول كان

شابًا يتجه شرقًا بخطى واسعة ، والآخر كان طفلة فى الثامنة أو التاسعة تعبر الشارع بأسرع ما تستطيع . حسن يا سيدى .. لقد اندفع كلاهما نحو الآخر دون ترتيب عند المنعطف ، وهنا حدث الشىء المريع ..

لقد داس الرجل بهدوء شديد على جسد الطفلة وتركها على الأرض .. لم يكن هناك ما تسمعه ، لكن المشهد كان جهنميًا .

لم يبد لى كرجل وإنما بدا طاغوتًا مقيتًا . ركضت مسرعًا ، أمسكت هذا السيد من ياقته وعدت به إلى حيث كان هناك حشد من الناس حول الطفلة الصارخة . كان هادئًا ولم يبد أية مقاومة .. لكنه نظر لى نظرة كريهة جعلتنى أتفصد بالعرق . كان الناس الذين احتشدوا هم أسرة الفتاة .. ثم سرعان ما ظهر الصيدلى الذى كانوا أرسلوها له . حسن .. لم تكن الطفلة فى حال سيئة .. بل كانت أقرب إلى



لقد داس الرجل بهدوء شديد على جسد الطفلة وتركها على الأرض ..

الخوف كما قال الطبيب ، وهكذا يمكنك أن تتوقع أن القصة انتهت .

لكن حدث شىء غريب .. لقد شعرت بالمقت لذلك السيد من النظرة الأولى ، وكذا أسرة الفتاة التى كانت أسرة عادية . لكن موقف الصيدلى كان عجيبًا .

كان صيدليًا من الطراز المعتاد لا يميزه سن ولا لون معين . يتحدث بلكنة (إدنبره) مميزة قوية ، وملىء بالعواطف كموسيقا القرب ذاتها . وكان ينظر مثلنا إلى سجيننا .. فكنت ترى أن الغثيان والشحوب يغلبانه ، وكأنما يريد قتله حالاً . عرفت ما كان يفكر فيه وعرف ما كنت أفكر فيه .. وبالطبع لم يكن القتل مطروحًا لهذا اخترنا الحل الأفضل التالى .. قلنا للرجل إن بوسعنا وفى نيتنا أن نصنع فضيحة من هذا الذى حدث ، ولسوف يقترن اسمه بالعار من أدنى (لندن) إلى أقصاها . لو كان له أصدقاء ذوو شأن فلسوف نعمل على أن يفقدهم .. وطيلة كلامنا

المحتدم معه كنا نبقى النساء بعيدًا عنه لأنهن كن غاضبات كالوحوش . لم أر قط دائرة تتكون من كل هذه الوجوه الكارهة .. وفى المنتصف يقف الرجل فى برود شرير ساخر . خائف نعم .. يمكن أن أقول هذا ، لكنه يتجاهلنا كأنه الشيطان ذاته .

قال الرجل :

ـ « لو أردتم أن تقيموا دعوى بسبب هذا الحادث فلا حيلة لى .. ما من سيد مهذب يتمنى فضيحة .. قولوا الرقم الذى تريدون .. »

حسن .. لقد طلبنا منه مائة جنيه لأسرة الفتاة ، وكان يتمنى أن يتملص لكن كان الشر باديًا علينا ، من ثم رضخ للأمر .. وإلى أين تحسبه ذهب بنا كى يجلب المال ، إن لم يكن إلى هذا المكان ذى الباب ؟

أخرج مفتاحًا ، ودخل .. ثم عاد لنا بعشرة جنيهات ذهبية وشيك لحامله موجه إلى مصرف (كوتس) ،

ووقع الشيك باسم لا أستطيع ذكره .. برغم أنه من صميم القصة ، لكنه كان اسمًا معروفًا جيدًا ، وكثيرًا ما تراه مطبوعًا . كان التوقيع واضحًا فقط لو كان أصيلاً ، وقد سمحت لنفسى بأن أقول لمن حولى إن الموضوع كله مثير للشكوك .. فالرجل لا يدخل بيتًا فى الرابعة صباحًا ويعود بشيك مصرفى عليه توقيع رجل آخر ، وبقيمة مائة جنيه . لكن الرجل كان أقرب إلى الهدوء والسخرية ، وقال لنا :

ـ « لا تقلقوا .. سأبقى معكم حتى تفتح المصارف وأصرف الشيك بنفسى .. »

وهكذا اتجهنا جميعًا إلى شقتى وأمضينا باقى الليل هناك ، وفى الصباح اتجهنا مجموعة واحدة إلى المصرف . قدمت الشيك بنفسى وقلت للصراف إن لدى كل ما يدعونى للشك فى أن التوقيع مزيف . لكنهم وجدوا أن الشيك صحيح تمامًا .

قال مستر (أترسون) :

- « توت توت توت ! »

قال مستر (إينفيلد) :

- « نعم .. أرى أنك تشعر بما أشعر به .. هى قصة سيئة .. لأن هذا الرجل كان من طراز لا تستطيع التعامل معه .. رجل ملعون فعلاً .. بينما الشخص صاحب الشيك رجل شديد اللياقة عظيم الأهمية .. وما يجعل الأمر أسوأ أنه واحد من رفاقك الذين يعملون الخير .. ابتزاز على ما أحسب .. رجل شريف يدفع ماله لأحد الأشقياء الذين عرفهم فى شبابه . ونتيجة لهذا أطلق على ذلك البيت اسم (بيت الابتزاز) . برغم أن هذا لا يفسر كل شىء كما تعلم .. »

هنا سأله مستر (أترسون) بغتة :

- « ولا تعرف إن كان من سحب الشيك من حسابه يعيش هناك ؟ »

أجاب مستر (إينفلد) :

- « مكان مناسب .. أليس كذلك ؟ لكنى لاحظت عنوانه .. إنه يعيش فى مربع سكنى آخر .. »

- « ولم تسأل قط عن المكان ذى الباب ؟ »

- « لا يا سيدى .. إن لى ميلاً معينًا هو أننى أشعر بعدم راحة نحو توجيه الأسئلة .. ثمة شىء مشترك بين توجيه الأسئلة ويوم الحساب .. وحين توجه سؤالاً تشعر بأنك رميت حجرًا .. تجلس على الجبل وترقب الحجر وهو يتدحرج لأسفل محركًا أحجارًا أخرى .. وفى النهاية تهوى الضربة على رأس طائر لطيف (آخر من تفكر فيه) بينما هو فى حديقته الخلفية ، وعندها تضطر الأسرة إلى تغيير اسمها ..

« لا يا سيدى .. هذه قاعدة بالنسبة لى .. كلما بدا الأمر غريبًا كلما أحسنت صنعًا بعدم التساؤل . »

قال المحامى :

- « قاعدة طيبة جدًا .. »

استطرد مستر (إينفيلد) :

- « لكنى درست المكان بنفسى .. بدا بصعوبة منزلاً .. لا يوجد باب آخر وما من أحد يدخل أو يخرج من هذا ما عدا السيد الذى حكيت قصتى عنه .. هناك ثلاثة نوافذ تطل على الساحة فى الطابق الأول .. النوافذ مغلقة دومًا لكنها نظيفة غالبًا . وهناك مدخنة ينبعث منها الدخان ، فلابد أن هناك من يعيش به .. وبرغم هذا ليس الأمر مؤكدًا لأن المبانى متلاصقة متلاحمة بحيث لا تستطيع أن تعرف متى يبدأ واحد وينتهى الآخر .. »

ومشى الاثنان لمدة فى صمت ، ثم قال مستر (أترسون) :

- « (إنفيلد) .. إن قاعدتك تلك طيبة .. »

أجاب (إنفيلد) :

- « نعم .. أعتقد هذا . »

- « ولكن برغم هذا ، هناك ما أريد معرفته .. أريد أن أسأل عن اسم الرجل الذى داس الطفلة .. »

- « حسن .. لا أرى أى أذى قد ينجم عن هذا .. كان رجلاً يحمل اسم (هايد) .. »

- « هم م م ! وأى نوع من الرجال هو ؟ »

- « ليس من السهل وصفه .. شىء ما مقبض .. شىء كريه .. لم أر قط رجلاً كرهته إلى هذا الحد ، وبرغم هذا لا أعرف السبب .. لابد أنه مشوه بشكل ما .. إنه يعطى انطباعًا بالتشوه ، برغم أننى لا أعرف كيف .. لا يا سيدى .. إننى لا أستطيع وصفه . ليس الأمر بسبب ضعف الذاكرة لأننى أراه فى هذه اللحظة أمام عينى .. »

مشى مستر (أترسون) من جديد صامتًا ومن الواضح أنه كان يقيم الأمور :

ـ « متأكد من أنه كان يحمل مفتاحًا ؟ أعرف أن الأمر غريب .. والحقيقة هى أن سبب عدم سؤالى عن اسم الشخص الآخر هو أننى أعرفه فعلاً .. لو كان فى قصتك عدم دقة فمن الخير أن تصححها الآن .. »

قال الآخر فى ضيق :

ـ « كان يجب أن تحذرنى .. لكننى كنت دقيقًا إلى درجة التحذلق لو شئت أن تعتبر الأمر كذلك .. إن الرجل كان معه مفتاح وأكثر من ذلك .. ما زال المفتاح معه .. رأيته معه منذ أسبوع .. »

تنهد مستر (أترسون) فى عمق ، ولم يقل شيئًا ، فقال الشاب :

ـ « هذا درس آخر يعلم المرء ألا يقول شيئًا .. إننى خجول من طول لسانى ، فدعنا نتفق على ألا نرجع لهذا الموضوع ثانية .. »

قال المحامى :

ـ « من كل قلبى .. وإننى لأصافحك واعدًا بذلك يا (ريتشارد) .. »

♠ ♠ ♠

البحث عن مستر (هايد) ..

فى هذه الليلة عاد مستر (أترسون) إلى بيته العزابى ومعنوياته منخفضة .. جلس يتناول العشاء دون شهية حقيقية . كان من عاداته يوم الأحد أن يجلس بعد الطعام جوار النار ويعكف على بعض الدراسات الدينية ، حتى يدق جرس الكنيسة المجاورة عند منتصف الثانية عشرة ، عندها يذهب قانعًا هادئًا إلى الفراش . إلا أنه فى هذه الليلة دخل لغرفة العمل ، وهناك فتح الخزانة ، وأخذ من أكثر أجزائها خصوصية مظروفًا موقعًا عليه باسم (وصية د. جيكل) .

وجلس مكفهر المزاج ليدرس محتواها .

كانت الوصية بخط اليد لأن مستر (أترسون) ـ برغم أنه كان مسئولاً عنها ـ رفض أن يعطى أية مساعدة فى كتابتها . كانت توصى بأنه فى حالة وفاة

(هنرى جيكل) . تنتقل كل أملاكه إلى صديقه والمستفيد من وصيته (إدوارد هايد) ، لكن هذا فى حالة اختفاء د. (جيكل) غير المبرر لفترة أكثر من ثلاثة أشهر قمرية .

على المدعو (هايد) وقتها أن يحل محل المدعو (جيكل) دون تأخير ، ومن دون دفع أية أعباء أكثر من دفع مبالغ بسيطة لإدارة منزل د . (جيكل) .

ظلت هذه الوصية قذى فى عين المحامى لفترة طويلة . كانت تثير نفوره كمحام وكمحب للنواحى المألوفة والعقلانية فى الحياة . وكان جهله بـ (هايد) مما زاد من مقته للموضوع . الآن فجأة صار يعرف ..

قال وهو ويضع الأوراق البغيضة فى الخزانة :

- « حسبت أن هذا جنون .. والآن بدأت أخشى أن يكون عارًا .. »

وإذ أنهى هذا ارتدى معطفًا واسعًا ، وانطلق قاصدًا ميدان (كافنديش) .. قلعة الطب حيث يستقبل صديقه د. (لانيون) مرضاه فى داره . وكان قد فكر :

- « لو كان هناك شخص يعلم ، فهو (لانيون) .. »

رحب به رئيس الخدم الوقور فقد كان يعرفه .

اقتاده على الفور إلى قاعة الطعام حيث يجلس د. (لانيون) وحيدًا مع شرابه . كان رجلاً ودودًا متأنقًا بصحة جيدة . ابيضّ شعره قبل الأوان ، وله طباع صاخبة محددة . حين رأى مستر (أترسون) وثب من مقعده ورحب به بكلتا يديه . كان لطفه يبدو إلى حد ما مسرحيًا لكنه ينبع عن عاطفة أصيلة .

كانا صديقين منذ أيام المدرسة . كلاهما يحترم نفسه والآخر ، والأهم أنهما كانا رجلين ينعم كل منهما بصحبة زميله .

بعد كلام عام ، تطرق المحامى إلى الموضوع الذى احتل تفكيره بشكل مزعج .

ـ « اعتقد يا (لانيون) أننى وأنت أقدم صديقين لدى (هنرى جيكل) ؟ »

ضحك د. (لانيون) :

ـ « أتمنى لو كنا أصغر سنًا ، لكن أحسبنا كذلك .. وما فى ذلك ؟ لا أراه إلا فيما ندر الآن .. »

قال مستر (أترسون) :

ـ « حقًا ؟ حسبت بينكما ربطة اهتمام مشترك .. »

كانت الإجابة :

ـ « كنا .. لكن كان هذا منذ عشرة أعوام ، حتى بدأ (جيكل) يضطرب عقليًا .. وبرغم أننى مازلت مهتمًا به من أجل خاطر الصداقة ، فإننى

رأيت منه من الهراء غير العلمى ، ما كان يكفى للتفريق بين (دامون) و(بيتياس)(*) .. »

شعر مستر (أترسون) ببعض الراحة لهذه الغضبة .. وقال لنفسه : مجرد خلاف علمى لا يعنى أن الأمر خطير .. بعد قليل وجه السؤال الذى جاء من أجله :

ـ « هل قابلت قط أحد المستفيدين منه ويدعى (هايد) ؟ »

كرر (لانيون) الاسم :

ـ « (هايد) ؟ لم أسمع عنه قط .. »

كان هذا هو قدر المعلومات الذى حمله المحامى معه إلى فراشه الضخم الذى ظل يتقلب عليه حتى

(★) مضرب مثل فى الصداقة والوفاء .. (دامون) قدم نفسه للسجن والإعدام بدلاً من صديقه (بتياس) إلى أن ينهى هذا الأخير بعض أعماله .. وقد عاد (بيتياس) لصديقه قبل الإعدام كما وعد ..

بدأت ساعات النهار الصغرى تنمو . كانت ليلة بلا راحة لعقله المنهك الذى تحاصره الأسئلة .

فى السادسة صباحًا دقت أجراس الكنيسة قرب مسكن مستر (أترسون) .. وكان مازال يفكر فى المشكلة . حتى هذه اللحظة كانت المشكلة تحير جانبه الفكرى أما الآن فقد راح خياله يعمل بدوره .

إذ راح يتقلب فى الظلمة جوار النافذة التى تغطيها الستائر ، راحت قصة مستر (إنفيلد) تتردد فى ذهنه فى حشد من الصور .

كان يرى الأضواء فى مدينة مظلمة ثم يرى شخصًا يمشى بخفة .. ثم طفلة تركض نحو بيت الطبيب . يلتقى الاثنان فإذا بالإعصار البشرى يضرب الطفلة ومضى غير مبال بصراخها .

لكن الرجل كان بلا وجه .. أو له وجه ما تكاد تتأمله حتى يذوب ويراوغك .. لهذا راح ينمو فى

نفسه شغف شديد إلى أن يرى ويستوعب وجه ذلك المستر (هايد) .

كان يعتقد أنه لو ثبت عينيه عليه لتلاشى الغموض كعادة الأشياء الغامضة حين تتفحصها بعناية . سيفهم سر خضوع صاحبه أو عبوديته وسر غرابة الوصية . على الأقل سيكون هذا وجهًا جديرًا بالرؤية . وجهًا جديرًا بالمقت .

منذ هذا اليوم اعتاد مستر (أترسون) أن يتصيد النظرات إلى ذلك الباب فى الشارع الجانبى . فى الصباح قبل ساعات العمل ، وعند الظهيرة حين يكثر العمل ، وفى المساء فى ضوء قمر المدينة الضبابى . فى كل الأضواء وكل ساعات العزلة أو الزحام .

وقال لنفسه :

- « لو كان هو مستر (هايد) فأنا مستر (سيك)(*) ! »

(*) هذا لعب بالألفاظ .. فـ (هايد) معناها (يختبئ) ، و(سيك) معناها (يبحث) .. و(هايد أند سيك) هى لعبة الاستغماية عندنا ..

فى النهاية تلقى الجزاء على صبره . كانت ليلة حسنة الطقس بلا أمطار ، والشوارع نظيفة كأرض مرقص . والأضواء التى لا تهتز تلقى ضوءًا ثابتًا .

فى العاشرة حين أغلقت المتاجر ، صارت الشوارع الجانبية مقفرة ، وساد الصمت ما عدا أصوات المنازل الخافتة وصارت أنباء وصول أى قادم تسبقه بوقت طويل .

شعر مستر (أترسون) بخطوات خفيفة تدنو . وكان قد اعتاد فى جولاته الليلية ذلك التأثير الذى تتعالى فيه خطوات شخص ما زال بعيدًا ، واضحة مميزة عن ضوضاء المدينة . لكن لم يثر شىء انتباهه من قبل بهذه الحدة ، ودفعه شعور خفى بالنجاح إلى أن يتوارى فى الفسحة .

دنت الخطوات ، وتعالت إذ اقتربت من نهاية الشارع . واستطاع المحامى من مكمنه أن يعرف نوع الرجل الذى سيتعامل معه .

كان صغير الحجم بسيط الثياب . وكان منظره منفرًا حتى على هذه المسافة . لكنه تقدم مباشرة إلى الباب وهو يخرج مفتاحًا من جيبه كأنه شخص يدنو من داره الخاصة .

خرج مستر (أترسون) من مكمنه ولمس كتفه وقال :

ـ « مستر (هايد) على ما أظن ؟ »

تراجع مستر (هايد) منكمشًا وأطلق شهيقًا عاليًا ، لكن ذعره كان وقتيًّا ، وبرغم أنه لم ينظر للمحامى فى عينه فإنه أجاب ببرود :

ـ « هذا اسمى .. ماذا تريد ؟ »

ـ « أرى أنك داخل .. أنا صديق قديم للدكتور (جيكل) .. مستر (أترسون) من شارع (جونت) .. وخطر لى أنك ربما تتعرفنى .. »

ـ « لن نجد الدكتور (جيكل) .. فهو ليس بالدار .. »

ثـم فجـأة ودون أن ينظـــر ســأل : ـ « كيـف عرفتنى ؟ »

قال مستر (أترسون) :

ـ « من جهتك .. هلا قدمت لى خدمة ؟ »

ـ « بكل سرور .. ما هى ؟ »

ـ « هلا سمحت لى برؤية وجهك ؟ »

بدا التردد على مستر (هايد) ، ثم فجأة رفع رأسـه بنـوع من التحـدى ولثـوان تبـادل الاثنـان النظـرات لثوان .

قال مستر (أترسون) :

ـ « الآن سأعرفك لو قابلتك ثانية .. قد يكون هذا ذا نفع .. »

قال مستر (هايد) :

ـ « ربما أفادك كذلك أن تعرف عنوانى .. »

وأعطاه عنوانًا فى حى (سوهو) .

فكر مستر (أترسون) :

ـ « يا إلهى الرحيم ! أتراه هو الآخر يفكر فـى الوصية ؟ »

لكنه أبقى أفكاره لنفسه وغمغم فى امتنان للعنوان .

ـ « والآن .. كيف عرفتنى ؟ »

فكانت الإجابة :

ـ « عن طريق أوصافك .. »

ـ « ومن وصفنى ؟ »

ـ « إن لنا أصدقاء مشتركين .. »

ـ « أصدقاء مُشتركين ؟ ومن هم ؟ »

قال المحامى :

ـ « (جيكل) على سبيل المثال .. »

صاح (هايد) فى غضب :

ـ « لم يقل لك شيئًا قط .. ما كنت أحسبك خليقًا بالكذب .. »

قال مستر (أترسون) :

ـ « هلم .. هذه ليست باللغة المناسبة .. »

انفجر الآخر فى ضحكة وحشية ، وفى اللحظة التالية كان قد فتح الباب وتوارى داخل المنزل .

وقف المحامى برهة بعدما فارقه مستر (هايد) شاعرًا بعدم الراحة . ومضى يمشى فى الشارع واضعًا يده على حاجبه من حين لآخر كأنه رجل فى حيرة عقلية شديدة . كانت المشكلة التى يواجهها من الطراز الذى لايحل إلا فيما ندر ..

كان مستر (هايد) قصير القامة شاحبًا ، ويعطى انطباعًا بالتشوه دون تشوه حقيقى يمكن تبينه . وتعامل مع المحامى بمزيج من الجبن والجرأة ..

وكان صوته مبحوحًا مهشمًا .. كلها كانت صفات ضده .. لكنها لا تبرر كل الكراهية والاشمئزاز والخوف التى شعربها مستر (أترسون) تجاهه .

ـ « فليرحمنى اللّه .. لم يبد لى الرجل آدميًا .. بدا لى شىء بدائى فيه .. أم هو إشعاع الروح التى تعكس محتواها الكريه ؟ فليرحمنى اللّه يا عزيزى (جيكل) المسكين .. فإنه لو كان بوسعى أن أقرأ توقيع الشيطان على وجه ، فإن أوضح توقيع هو هذا المرتسم على وجه صديقك الجديد .. »

عند ركن الشارع الجانبى ، كان مربع من البيوت العتيقة أكثرها خال من السكان ، لكن أحدها وهو الثانى عند الناصية كان مسكونًا بالكامل ، وعلى بابه الذى بدا عليه الثراء والترف ، توقف مستر (أترسون) ودق . وظهر خادم عجوز .

سأله المحامى :

ـ « هل دكتور (جيكل) هنا يا (بول) ؟ »

ـ « سأرى يا مستر (أترسون) »

وسمح للضيف بالدخول إلى قاعة واسعة مريحة خفيضة السقف . بها مدفأة كعادة بيوت الريف . كانت القاعة التى ينتظر فيها مفضلة لدى صديقه الطبيب ، وحتى (أترسون) كان يهوى الكلام عنها كأكثر الغرف بهجة فى (لندن) . لكن الليلة كانت هناك رعدة فى دمه .. إن مرأى (هايد) كان يثقل على روحه . شعر بغثيان ومقت للحياة ، وفى كآبته شعر بالتوجس من الظلال المتراقصة بفعل النار .

شعر بخزى من نفسه حين عاد (بول) ليخبره أن د. (جيكل) قد رحل .

ـ « يبدو لى أن سيدك يحمل ثقة بالغة تجاه ذلك المدعو (هايد) .. »

قال (بول) :

ـ « نعم يا سيدى .. حقًا .. لدينا أوامر جميعًا بأن نطيعه .. »

سأله مستر (أترسون) :

ـ « لا أعتقد أننى قابلت مستر (هايد) من قبل .. »

أجاب الخادم :

ـ « أوه .. لا يا سيدى .. هو لا يتناول الطعام هنا أبدًا .. حقًا نكاد لا نراه فى هذا الجزء من المنزل .. إنه يخرج ويدخل من المختبر .. »

ـ « حسن . عمت مساء يا (بول) .. »

وعاد المحامى لداره بقلب مثقل .. وفكر :

ـ « (هنرى جيكل) المسكين .. عقلى يخبرنى أنه غارق فى مياه عميقة .. كان متهورًا فى شبابه لكن فى القانون الإلهى قد لا تفر بآثامك للأبد .. لابد أن الأمر كذلك .. شبح خطيئة قديمة .. سرطان عار أخفاه : لكن العقاب قادم .. بعد أعوام نسيت فيها الذاكرة وتغاضى حب الذات عن الخطأ .. »

وراح يفتش فى خوف فى ماضيه عن أمور مماثلة .. عن عفريت علبة قد يثب منها الآن .. لكن صباه كان خاليًا من الأخطاء .. قليلون من الناس من يستطيعون تأمل صباهم بهذه الجسارة .. وبرغم هذا كانت هناك مرات هوى فيها إلى الحضيض .. ومرات ارتفع فيها إلى السمو نتيجة الآثام التى دنا منها وتحاشاها ..

هنا عاوده بعض الأمل :

- « هذا المدعو (هايد) .. لو درسنا ماضيه لوجدنا خطايا وأسرارًا سوداء .. أسرارًا لو قورنت بأسوأ ما قارفه المسكين (جيكل) ، لكانت كضوء الشمس . الأمور لايمكن أن تستمر هكذا .. أشعر بالرعب حين أتخيل هذا المخلوق يتسلل كلص إلى غرفة نوم (جيكل) .. يا له من منظر تراه عند الاستيقاظ ! والخطر فى هذا ! لو أن (هايد) عرف بوصية (جيكل) فلن يطيق صبرًا على الميراث . فقط لو أن (جيكل) يتركنى أفعل .. »

ولمع عينيه رأى بوضوح شفاف بنود الوصية الغريبة .

* * *

د . جيكل كان مطمئنًا ..

بعد أسبوعين ، وبحظ حسن بالفعل ، دعا الطبيب إلى العشاء خمسة أو ستة من أصدقائه القدامى . كلهم أذكياء حسنو السمعة ، وقد افتعل مستر (أترسون) أن يبقى بعدما رحل الآخرون . لم يكن هذا ترتيبًا جديدًا بل شيئًا خطط له مرارًا من قبل . وقد جلس د. (جيكل) أمام النار .. وهو رجل ضخم متين البنيان ، له وجه أملس فى الخمسين من عمره ، عليه مسحة ماكرة نوعًا لكن عليه كذلك كل أمارات الرقة والكفاءة . وكان بوسعك أن ترى من نظراته أنه يحمل مودة مخلصة دافئة للمستر (أترسون) .

قال مستر (أترسون) :

- « أردت أن أتكلم معك يا (جيكل) .. هل تعرف وصيتك تلك ؟ »

كان بوسع مراقب حذر أن يرى أن الموضوع غير سار لكن الطبيب تناوله ببساطة :

- « واعزيزى (أترسون) .. أنت تعس الحظ بعميل كهذا ، وأنا لم أر قط شخصًا أكثر انزعاجًا بسبب وصيتى تلك .. ما لم يكن مدعى العلم المدعو (لانيون) هذا بما يقوله عن هرطقتى العلمية .. أعرف أنه رجل طيب فلا تقطب .. شخص ممتاز أتمنى أن أراه دومًا .. لكنه مدعى علم ضيق الأفق برغم هذا .. »

- « على كل حال أنا أكرر .. لقد كنت أدرس ماضى (هايد) .. »

شحب وجه الطبيب وبدا السواد فى عينيه .. وقال :

- « لا أبغى سماع المزيد .. حسبت أن هذا موضوع اتفقنا على تجاهله .. »

- « ما سمعته كان كريهًا .. »

- « لن يحدث تغييرًا .. أنت لا تفهم وضعى .. أنا فى وضع أليم يا (أترسون) . وهو من الأوضاع التى لا يمكن إصلاحها بالكلام .. »

قال (أترسون) :

- « (جيكل) .. أنت تعرفنى وتعرف أنك تستطيع الثقة بى .. ولا تشك فى أن بوسعى إخراجك مما أنت فيه .. »

- « أعرف هذا يا صاحبى .. وثق أننى لو احتجت إلى إنسان فأنت أول من أفكر فيه على وجه الأرض .. لكنى أريد الآن أن تترك عقلك يستريح .. »

فكر (أترسون) قليلاً وهو يرمق النار . فى النهاية قال وهو ينهض :

- « لا أشك فى أنك مصيب .. »

- « ثمة نقطة أخيرة مهمة .. الرجل يهمنى جدًا .. أعرف أنك قابلته وأنه كان فظًا معك .. هو قال لى ذلك .. لكنى بالفعل مهتم .. مهتم للغاية بهذا الشاب .. ولو اختفيت يا (أترسون) فإننى أرجو أن تعدنى بأن تتولى أمره وتعطيه حقه كاملاً .. ولسوف أزيح عبئًا عن كاهلى لو أنك وعدتنى .. »

قال المحامى :

- « لا أستطيع التظاهر بأننى سأحبه يومًا ما .. »

- « لم أطلب هذا .. فقط طلبت العدل .. طلبت أن تجلب له حقوقه حين لا أعود أنا هنا .. »

أطلق (أترسون) تنهيدة وقال :

- « حسن .. أعدك .. »

★ ★ ★

قضية مقتل (كارو) ..

بعد عام تقريبًا فى 18 أكتوبر ، اهتزت (لندن) لجريمة قتل وحشية ، بالإضافة لمنصب القتيل المهم .

كانت التفاصيل قليلة وغريبة . كانت هناك خادمة تعيش وحدها فى منزل لا يبعد عن النهر ، قد صعدت لفراشها فى الحادية عشرة مساءً . وبرغم أن الضباب لف المدينة فى ساعات الفجر الأولى ، فإن بداية الليل كانت بلا غيوم وكان الزقاق الذى تطل عليه نافذة الخادمة يضيؤه القمر جيدًا .

يبدو أنها شعرت بنزعة رومانسية لأنها جلست على صندوق تحت النافذة وغرقت فى أحلام شاعرية . وتقول إنها لم تشعر قط بكل هذا السلام مع العالم والرجال . لكنها رأت رجلاً متقدمًا فى

العمر وسيمًا ، أشيب الشعر يدنو من الزقاق . ومن الجهة الأخرى اتجه نحوه سيد آخر ضئيل الحجم جدًا .. ثم تقارب الرجلان للكلام (تحت عينيها بالضبط) فانحنى الأشيب وحيا الآخر بطريقة غاية فى التهذيب . وإن كان من الواضح أن من أدى له هذه التحية لم يكن ذا أهمية .

أثار دهشتها أن تدرك أن الآخر كان من يدعى مستر (هايد) وهو رجل زار سيدها من قبل ، وكانت تحمل تجاهه نفورًا معينًا . كان يحمل فى يده عصا .. وبدا أنه لا يتكلم على الإطلاق .. بدا كأنما يسمع بنفاد صبر ..

وفجاة انفجر فى غضب ملتهب .. وراح يضرب الأرض بقدمه .. كأنه مجنون .

تراجع السيد إلى الوراء وقد دهش .. هنا فقد (هايد) كل تحكم فى ذاته ، وهوى على الرجل بعصاه ليسقط أرضًا .. ثم فى اللحظة التالية

-وبجنون كجنون قرد - راح يدوس ضحيته بقدميه وتحت وابل من الضربات حتى لتسمع بوضوح صوت تهشم العظام .

وعند رؤيتها هذا المشهد الشنيع غابت الخادمة عن الوعى .

حين عادت لوعيها كانت الثانية بعد منتصف الليل ، فطلبت الشرطة . وكان القاتل قد رحل من زمن ، لكن ضحيته كانت فى وسط الزقاق مشوهة بعنف . وكانت العصا التى تم بها القتل مهشمة من المنتصف برغم أنها من نوع نادر صلب ، وقد بقى أحد النصفين فى الميزاب . كانت على جثة الضحية حافظة وساعة ذهبية ، لكن لا أوراق إلا من مغلف مغلق وعليه طابع ، كان يحمل اسم المستر (أترسون) .

حمل هذا الخطاب إلى الرجل حين غادر فراشه فى الصباح ، فلم يكد يسمع التفاصيل حتى قال :



وهوى على الرجل بعصاه ليسقط أرضًا .. ثم فى اللحظة التالية ـ وبجنون كجنون قرد ـ راح يدوس ضحيته بقدميه ..

ـ « لن أقول شيئًا إلى أن أرى الجثة .. هذا الأمر خطر جدًا فأرجو أن تنتظروا حتى أبدل ثيابى .. »

وبنفس الوجه الجاد التهم إفطاره متعجلاً ثم هرع إلى قسم الشرطة حيث حملوا الجسد .

قال وهو يهز رأسه :

ـ « نعم .. أعرفه .. يؤسفنى أن أقول إن هذا سير (دانفرز كارو) .. »

صاح الضابط متعجبًا :

ـ « يا إلهى الرحيم ! هل هذا ممكن ؟ »

وفى اللحظة التالية بدا الفضول المهنى فى عينيه .

ـ « لسوف يحدث هذا ضجة .. لكن ربما كان بوسعك أن ترشدنا إلى الرجل .. »

كان مستر (أترسون) متخوفًا من ذكر اسم

(هايد) ، لكنه ما إن رأى نصف العصا لم يستطع أن يشك أكثر . لأنه أهدى بنفسه هذه العصا منذ أعوام إلى الدكتور (جيكل) .

- « لو أتيتم معى فى عربتى ، فأعتقد أن بوسعى أن آخذكم إلى بيته .. »

كانت التاسعة صباحًا وقد بدأ الضباب يغمر الشوارع .. وكانت مصابيح حى (سوهو) مضاءة وهاجة .. تبعث فى نفس المحامى أنه يرى شوارع مدينة عجيبة فى كابوس .

كانت أفكاره فى أشد حالات الكآبة ، ونظر إلى مرافقه فشعر بالخوف من القانون والشرطة ، أولئك الذين يمكن أن يهاجموا أكثر الناس شرفًا ..

دنت العربة من العنوان فارتفع الضباب كاشفًا عن مطعم .. ومتجر للبيع بالتجزئة .. وأطفال مشعثين مغبرين .. ثم هبط الضباب من جديد بنيًا كالعنبر يعز له

عما يحيط به من حقارة . كان هذا هو منزل صديق (هنرى جيكل) المفضل . لرجل سيرث ربع مليون جنيه إسترلينى .

فتحت لهم الباب عجوز وجهها بلون العاج ، وشعرها فضى . وكانت لها نظرة شريرة دارتها بنوع من النفاق ، وإن كانت مهذبة للغاية . وقالت لهم إن هذا مسكن مستر (هايد) لكنه ليس فى الدار . لقد انصرف منذ ساعة ولا غرابة فى هذا لأن عاداته غير منتظمة ، وعلى سبيل المثال لقد مر شهران لم تره فيهما إلا ليلة أمس .

قال لها المحامى :

- « حسن .. لكننا نريد تفقد حجرات المنزل .. »

وحين بدأت المرأة توضح أن هذا مستحيل ، قال لها :

- « من الخير أن أخبرك من هذا الرجل .. إنه المفتش (نيوكومن) من (سكوتلانديارد) .. »

بدا سرور كريه على وجه المرأة وقالت :

ـ « أه ! هو فى ورطة .. ماذا فعل ؟ »

تبادل مستر (أترسون) والمفتش النظرات :

ـ « لايبدو شخصية محبوبة جداً .. والآن أيتها المرأة الطيبة دعينى وصاحبى نلق نظرة على الداخل .. »

فى المنزل كله لم يكن مستر (هايد) يستعمل إلا غرفتين ، لكنهما كانتا مفروشتين بعناية وترف . كانت الأطباق من الفضة والبياضات أنيقة وصورة جميلة معلقة على الجدار ، افترض (أترسون) أنها هدية من د. (جيكل) الذى كان ذواقة للفنون . لكن الغرف كانت تعطى انطباعًا بالتفتيش .. الأدراج مفتوحة والسترات على الأرض مفتوحة الأدراج ، وكومة من الرماد فى الموقد توحى بأن مجموعة أوراق قد تم حرقها . وتبين المفتش وسط الرماد كعب دفتر شيكات .. أما النصف الآخر من العصا فكان خلف الباب .

وكان المفتش يشعر برضا بالغ .. قال لـ (أترسون) :

ـ « يمكنك الاعتماد على هذا يا سيدى .. لقد ظفرت به .. لابد أنه فقد عقله وإلا ما ترك العصا ودفتر الشيكات هنا .. ليس علينا إلا أن ننتظره فى المصرف .. »

لكن هذا الجزء الأخير لم يكن سهلاً لهذا الحد ، لأن قليلين كانوا يعرفونه ، وحتى رئيسة الخدم لم تره إلا مرتين .. ولا أثر لأسرته ولم تلتقط له صور فوتوغرافية قط ، وقد تناقضت أوصاف من عرفوه بشكل محير ، كما يحدث مع شهود العيان من العامة . فقط أجمع الجميع على نقطة واحدة هى ذلك الإحساس الغالب بالتشوه الذى يوحى به لكل من يراه .

♠ ♠ ♠

قصة الخطاب

كانت ساعة متأخرة عصرًا ، حين وجد مستر (أترسون) طريقه إلى باب د. (جيكل) . حيث أدخله (بول) . واقتاده إلى ما كان يعرف عامة بالمختبر أو غرفة التشريح . كان الطبيب قد ابتاع البيت من ورثة جراح مرموق ، وإن كانت ميول (جيكل) بالطبع كيميائية أكثر منها تشريحية .

كانت أول مرة يستقبل فيها المحامى فى هذا الجزء من مسكن صديقه ، وقد راح يراقب المعدات العتيقة المتسخة بفضول .. ونظر حوله بشعور مقيت من الغرابة ، وهو يعبر قاعة المحاضرات التى امتلأت يوميًا بالطلاب الشغوفين بالعلم ، الآن هى كئيبة صموت . المناضد مزدحمة بالأجهزة الكيميائية ، والضوء يتسرب معتمًا من قبة الزجاج الضبابية فى

السقف . وكانت هناك درجات تقود إلى ممر فى نهايته باب مبطن بالقطيفة الحمراء .

عبر هذا الباب ليتم استقباله فى مكتب د. (جيكل) . كانت غرفة واسعة تطل على الساحة بثلاث نوافذ مغبرة تسدها القضبان الحديدية . وكان هناك مصباح على رف المدفأة لأن الضباب كان قد بدأ يدخل البيوت ذاتها . وهناك جوار الدفء جلس د. (جيكل) وقد بدا عليه المرض البالغ ، ولم ينهض لاستقبال الزائر . فقط مد له يدًا باردة ورحب به بصوت مختلف .

قال له مستر (أترسون) بمجرد رحيل الخادم :

ـ « والآن .. هل سمعت الأخبار ؟ »

هز الطبيب كتفيه :

ـ « كانوا يصرخون بها فى الميادين .. سمعتها فى غرفة الطعام .. »

قال المحامى :

ـ « كلمة واحدة .. كان (كارو) عميلي وكذا أنت . وأريد أن أعرف ما أفعله .. لست مجنونًا بما يكفى كى تخفى هذا الشخص عن الشرطة ؟»

صاح الطبيب :

ـ « (أترسون) .. اقسم باللّه . اقسم باللّه إننى لن أراه ثانية .. لقد ربطت شرفى بكون علاقتى انتهت به فى هذا العالم .. وهو كذلك لايريد عونى . أنت لاتعرفه .. إنه فى أمان .. أمان بما يفوق الوصف .. »

أصغى المحامى فى كآبة .. لم يحب أسلوب صديقه المحموم وقال :

ـ « تبدو واثقًا منه تمامًا .. وآمل أن تكون محقًّا باللّه عليك . لو وصل الأمر إلى المحاكمة فلسوف يذكر اسمك .. »

ـ « واثق تمامًا .. لكن هناك شيئًا أرغب فى

استشارتك فيه . لقد وصلنى خطاب لا أعرف إن كان يجب أن أريه للشرطة أم لا .. أفضل أن أترك الأمر فى يدك يا (أترسون) فأنا أثق بك ثقة عظيمة .. »

ـ « تخشى أن يتم القبض عليه بوساطته ؟»

ـ « لا .. لا أستطيع القول إننى أهتم بمصير (هايد) .. لقد فرغت منه .. كنت أفكر فى طباعى التى كشفتها هذه القصة الكريهة .. »

فكر (أترسون) قليلاً .. كان كلام صديقه أنانيًّا لكنه سره ..

ـ « حسن .. دعنى أر الخطاب .. »

كان الخطاب مكتوبًا بخط غريب ، وقد وقع باسم (إدوارد هايد) ، ويتلخص محتواه فى أن الكاتب الذى قابل إحسان د. (جيكل) بما لا يستحق من الإساءة ، لايريد أن يرهق أحدًا بسلامته .. فلديه طرق للفرار يعتمد عليها تمامًا . وقد راق الخطاب للمحامى كثيرًا ولام نفسه على شكوكه السابقة .

- « هل معك المظروف ؟ »

- « حرقته .. لكن لم تكن عليه أختام من مكتب بريد .. لقد تم التسليم باليد .. أريد منك أن تحكم على الأمر بنفسك تمامًا .. فقد فقدت الثقة بنفسى .. »

قال المحامى :

- « حسن .. سأفكر فى الأمر .. والآن كلمة واحدة .. هل (هايد) هو من أملى شروط وصيتك بصدد ذلك الاختفاء ؟ »

أغلق الطبيب فمه وهز رأسه . فقال المحامى :

- « كنت أعرف هذا .. كان يزمع قتلك .. »

- « لقد تلقيت أكثر من هذا .. تلقيت درسًا .. رباه ! أى درس تلقيته يا (أترسون) !! »

وغطى وجهه بكفيه .

وفى طريقه للخروج ، توقف المحامى وتبادل بعض كلمات مع (بول) . قال له :

- « بالمناسبة .. ثمة خطاب سلم باليد اليوم .. فكيف كان شكل الذى سلمه ؟ »

لكن (بول) أصر على أنه لم ترد خطابات إلا بالبريد .. ومجرد دوريات .

أثار هذا توجس المحامى من جديد .. بالتأكيد جاء الخطاب عبر باب المختبر .. ربما كتب فى المكتب ، ومعنى هذا أن أمره يجب أن يؤخذ بجدية أكثر .

كان بائعو الصحف فى الطرقات يصرخون أمام الدار :

- « طبعة خاصة .. اغتيال مفجع لعضو .. برلمان .. »

كانت هذه بمثابة خطبة الجنازة لصديق وعميل ، ولم يستطع ألا يشعر بالتوجس من أن يقحم اسم نبيل آخر فى دوامة الفضيحة . وقد بدأ يشعر برغبة عارمة لطلب النصح . لن يحصل عليه مباشرة ولكن سيتحايل من أجله .

بعد هذا كان جالسًا جوار مدفأة داره مع مستر (جست) ، رئيس كتبته ، وكان الضباب يخيم فوق المدينة حيث تلتمع المصابيح كأنها العقيق الأحمر . لكن الغرفة كانت مليئة بالبهجة وضوء النيران .

كان يأتمن المستر (جست) على أكثر أسراره .. وكان (جست) يذهب للطبيب كثيرًا ويعرف (بول) ، وقد سمع كثيرًا عن مستر (هايد) .. وكان رجلاً ذا رأى صائب بالإضافة إلى خبرته فى قراءة الخطوط .. فلو قرأ الخطاب الغريب فمن المحتم أن يعلق .. وهذا التعليق قد يشكل سلوك مستر (أترسون) بعد هذا .

قال (أترسون) :

ـ « موضوع سير (دانفرز) هذا محزن حقًا .. »

ـ « نعم يا سيدى .. لقد سبب الكثير من المشاعر العامة .. لابد أن القاتل كان مجنونًا .. »

ـ « أحب أن أعرف رأيك فى الأمر ، لأن عندى

هنا وثيقة بخط يده .. ولا أعرف ما ينبغى عمله .. إنها مهمة قبيحة .. »

التمعت عينا (جست) وجلس ليدرس الخطاب باهتمام .

ـ « لا يا سيدى .. ليس مجنونًا .. لكن هذه يد غريبة .. »

ـ « وفى جميع الأحوال كاتب غريب .. »

هنا دخل الخادم حاملاً مذكرة .

تساءل الكاتب :

ـ « هل هذه من د. (جيكل) يا سيدى ؟ قد عرفت خطه .. هل من شىء خاص ؟ »

ـ « فقط دعوة للعشاء .. هل تريد أن تراها ؟ »

ـ « لحظة واحدة مع الشكر يا سيدى .. »

ووضع الكاتب الورقتين جنبًا إلى جنب ، وقارن المحتويات ثم قال فى النهاية :

- « شكرًا يا سيدى .. هذه وثيقة مهمة جدًا .. »

ساد صمت طويل ثم تساءل (أترسون) :

- « لم قارنتهما يا (جست) ؟ »

قال الكاتب :

- « حسن يا سيدى .. ثمة تشابه استثنائى .. إن اليدين متماثلتان ولكن مع اختلاف ميل الكتابة .. »

قال (أترسون) :

- « هذا أمر طريف .. »

- « بالفعل هو أمر طريف .. »

فلما انفرد مستر (أترسون) بنفسه فى تلك الليلة ، وضع المذكرة فى خزانته ، وفكر :

- « ماذا ؟ (هنرى جيكل) يزيف رسالة قاتل ؟ »

وشعر بالدم يجرى باردًا فى عروقه .

* * *

حادثة د. (لانيون) الغريبة ..

مر الزمن ، وعرضت آلاف الجنيهات جائزة لمن يرشد عن قاتل سير (دانفرز) لكن مستر (هايد) اختفى كأنما لم يوجد قط . تم البحث فى ماضيه وانتشرت القصص عن قسوة الرجل وحياته الشريرة وعلاقاته الغريبة . لكن أحدًا لم يعرف أين هو الآن .

منذ أن غادر داره فى (سوهو) صباح الجريمة ، ومستر (أترسون) قد بدأ يشفى من توتره الشديد ويهدأ . لقد تم القصاص لمقتل سير (دانفرز) باختفاء (هايد) ..

الآن وقد زال التأثير الشرير فقد بدأ د. (جيكل) حياة جديدة وخرج من عزلته ، وجدد العلاقات مع أصدقائه .

كان معروفًا بالإحسان ، والآن اشتهر بالتدين .. وقد قام بأعمال خيرة كثيرة . ولمدة شهرين كان يعيش فى سلام تام .

فى الثامن من يناير تناول (أترسون) العشاء فى منزل د. (جيكل) مع مجموعة صغيرة .. كان د. (لانيون) هناك وراح المضيف ينقل عينيه بينهما كما فى الأيام الماضية عندما كانوا أصدقاء لايفترقون . لكن فى اليوم الثانى عشر والرابع عشر ، لم يسمح للمحامى بالدخول ، وقال له (بول) :

- « إن الدكتور معتكف .. ولا يقابل أحدًا .. »

جرب من جديد فى الخامس عشر ، فلم يفلح .. وكان قد اعتاد أن يرى صديقه يوميًا فى الشهرين الماضيين مما جعله يشعر بعدم ارتياح لهذه الوحدة .

فى اليوم الخامس اتجه إلى دار (لانيون) .. هناك

على الأقل سمح له بالدخول . لكنه إذ دخل أصابته الصدمة لمرأى التغير الذى طرأ على وجه الطبيب . إن شهادة موته مكتوبة على وجهه بوضوح .

لقد شحب وجه الرجل المتورد وضمر جلده . لكن هذه لم تكن المشكلة .. بل كان الأسوأ هو نظرة الرعب على وجه الرجل .

كان من غير المتوقع أن الطبيب يخشى الموت ، لكن هذا ما بدأ (أترسون) يعتقده .

- « إنه طبيب ولابد أنه يعرف حالته .. والمعرفة شىء لا يتحمله .. »

فلما علق على المظهر أعلن (لانيون) أنه رجل مقضى عليه .

قال :

- « أصابتنى صدمة لن أشفى منها أبدًا .. والأمر لن يستغرق أكثر من أسابيع .. حسن .. كانت حياتى

طيبة وقد أحببتها .. أعنى أننى اعتدت أن أحبها .. أحيانًا أفكر فى أننا لو عرفنا كل شىء لفضلنا الرحيل .. »

لاحظ (أترسون) :

ـ « (جيكل) مريض بدوره .. هل رأيته ؟ »

ارتجفت يدا (أترسون) وقال بصوت راجف :

ـ « لا أريد أن أسمع شيئًا عن (جيكل) .. لقد انتهيت من هذا الشخص ، وأرجو أن تعفينى من التلميح إلى شخص أعتبره ميتًا .. »

قال (أترسون) :

ـ « أليس بوسعى عمل شىء ؟ نحن ثلاثة أصدقاء قدامى يا (لانيون) .. لن نجد الوقت الكافى لنكون صداقات جديدة .. »

ـ « لا شىء يمكن عمله .. اسأله هو .. »

ثم قال (لانيون) :

ـ « يومًا ما بعد أن أموت يا (أترسون) ، سوف تعرف صواب هذا أو خطأه .. لا أستطيع أن أخبرك .. لو أردت أن تجلس ونتحدث فى مواضيع أخرى فافعل ذلك .. لكن لو أردت الكلام عن هذا الموضوع اللعين فلترحل الآن .. »

ما إن عاد (أترسون) إلى داره حتى جلس وكتب خطابًا لـ (جيكل) يشكو عدم السماح له بدخول منزله ، وموضوع د. (لانيون) .

وفى اليوم التالى وصلته رسالة طويلة مليئة بالعواطف وأحيانًا مائلة للغموض . كانت المشاجرة مع (لانيون) غير قابلة للإصلاح :

ـ « لا ألوم صديقنا د. (لانيون) ، لكنى أوافقه على أنه من الخير لنا ألا نلتقى ثانية أبدًا .. من الآن سأعيش حياة من العزلة التامة وهذا لا يجب أن

يدهشك أو يجعلك تتشكك فى صداقتنا . لقد جلبت على نفسى عقابًا لا أستطيع وصفه .. لقد صرت زعيم الخطاة وزعيم المعذبين كذلك .. وما أحسب هذه الأرض تحوى موضعًا للعذاب والأهوال مجتمعة كهذا .. وليس بوسعك أن تعمل شيئًا إلا أن تحترم صمتى .. »

ذهل مستر (أترسون) .. فهو كان قد حسب السحابة مرت بالفعل .. وهذا التغير المفاجئ يوحى بالجنون ..

بعد أسبوع رقد د. (لانيون) فى فراشه .. وفى أقل من أسبوعين كان قد مات .

بعد الجنازة التى ملأه الحزن فيها ، أغلق (أترسون) باب غرفة مكتبه ، وجالسًا هناك على ضوء حزين لشمعة ، ووضع أمامه مظروفًا عليه خاتم صديقه الراحل :

« شخصى لـ (ج.ج. أترسون) وحده .. وفى حالة وفاته يتم تدميره دون قراءة .. »

شعر المحامى بالخوف من قراءة المحتوى :

- « لقد دفنت صديقًا اليوم ، فماذا لو كلفنى هذا صديقًا آخر ؟ »

لكنه فى النهاية حطم الخاتم .. وفى الداخل وجد مغلفًا آخر كتب عليه :

- « لا يفتح إلا بعد موت أو اختفاء د. (هنرى جيكل) .. »

ولم يصدق (أترسون) عينيه .

نعم .. الاختفاء من جديد .. نفس الكلمات كما فى الوصية المجنونة السابقة .. لكن فى الوصية كانت هناك فكرة تأثير (هايد) .. وكان الغرض واضحًا ومخيفًا ، لكن ما معنى هذا لو كتبته يد (لانيون) ؟

شعر المحامى بفضول بالغ .. وود لو يتجاهل التحذيرات ويخترق أعماق هذا اللغز ، لكن شرفه المهنى والإخلاص لصديقه المتوفى جعلاه مضطرًا للتنفيذ . وغاب المغلف فى أعماق خزانته .

كان الفضول يخنقه وود لو سمح له صديقه الحى بالزيارة .. لكنه فى الوقت نفسه كان يرجو ألا يجده فى الدار ، وأن يتبادل حوارًا مع (بول) على الباب حيث الهواء الطلق وضوء الشمس ، بدلاً من دخول منزل العبودية الاختيارية هذا .

لكن (بول) لم يكن يملك أخبارًا طيبة .. كانت حالة انعزال الطبيب تزداد سوءًا .. لم يعد ينام أو يقرأ وصار يقضى أكثر الوقت فى المختبر .

تكررت هذه التقارير كثيرًا واعتادها (أترسون) حتى إنه صار يقلل من زياراته شيئًا فشيئًا .

* * *

واقعة النافذة ..

حدث فى يوم الأحد بينما مستر (أترسون) فى جولته المعهودة مع مستر (إنفيلد) ، أن وجدا أنهما يمشيان فى الشارع الجانبى .

قال (إنفيلد) :

- « حسن .. لقد انتهت هذه القصة على الأقل .. لن نرى مستر (هايد) ثانية »

قال (أترسون) :

- « آمل أن لا .. هل أخبرتك أنى رأيته مرة وشاركتك شعور النفور ؟ »

- « وأى غبى حسبتنى حين ظننت أننى لا أعرف أن الأمر يتعلق بالباب الخلفى لمسكن د. جيكل .. »

ـ « حقًا ؟ ما دام الأمر كذلك دعنا نخط للساحة وننظر عبر النوافذ .. لأقول لـك الحـق .. أنـا قلق على (جيكل) البائس .. وحتى وأنا خارج داره أعتقد أن وجود صديق قد يفيده .. »

كانت الساحة باردة رطبة .. وكانت النافذة فى المنتصف نصف مفتوحة ..وجوارها كاسف البال ينشق الهواء بنهم كأنه سجين تعس ، استطاع (أترسون) أن يرى د. (جيكل) .

صاح أترسون :

ـ « من ؟ (جيكل) !! أكيد أنك أفضل حالاً .. »

أجاب الطبيب فى كآبة :

ـ « أنا فى أسوأ حالى يا (أترسون) .. لن يستمر الأمر طويلاً حمدًا للّه .. »

ـ « أنت تغلق على نفسك كثيرًا .. يجب أن تخرج ليجرى دمك مثلى .. هذا هو ابن عمى .. مستر

(إنفيلد) .. د. (جيكل) .. هات قبعتك وتعال معنا .. »

تنهد الطبيب :

ـ « أنت طيب جدًا .. وأتمنى ذلك لكن لا .. لا .. مستحيل .. لا أجسر .. وأتمنى دعوتكما إلى الداخل لكن يؤسفنى أن المكان غير ملائم .. »

ـ « لا مشكلة .. لعل خير ما نفعله أن نقف حيث نحن ونتكلم معك .. »

ـ « هذا ما كنت لأجازف بطلبه .. »

قالها الطبيب مبتسمًا .. ثم فجأة تلاشت البسمة من وجهه لتحل محلها نظرة هلع وقنوط جمدت الدم فى عروق الرجلين .. وقد أصابهما الهلع إلى حد أنهما ابتعدا عن النافذة ..

لا يعرفان كيف ابتعدا مذعورين عن الشارع

الجانبى .. حتى وقفا وتبادلا نظرة .. كانا شاحبين تمامًا وثمة رعب فى عينيهما .. قال (أترسون) :

ـ « فليسامحنا اللّه .. فليسامحنا اللّه .. »

فهز (إنفيلد) رأسه وواصلا السير من جديد صامتين ..

★ ★ ★

الليلة الأخيرة

كان مستر (أترسون) يجلس جوار المدفأة ذات ليلة بعد العشاء حين فوجئ بزيارة من (بول) . فصاح :

ـ « فليرحمنى اللّه يا (بول) .. ماذا جاء بك هنا ؟ »

ثم نظر نظرة أخرى وقال :

ـ « ماذا وراءك ؟ هل الدكتور مريض ؟ »

قال الرجل :

ـ « مستر (أترسون) .. ثمة شىء خطأ .. »

ـ « إذن اجلس .. هاك كأس من الشراب .. الآن خذ راحتك وقل لى ماذا تريد .. »

أجاب (بول) :

ـ « أنت تعرف طباع الطبيب .. وكيف يغلق على

نفسه .. لقد أغلق مكتبه على نفسه وأنا لم أعد أطيق هذا .. أنا خائف يا مستر (أترسون) .. »

قال المحامى :

ـ « والآن أيها الرجل الطيب .. كن واضحًا .. مم تخاف ؟ »

ـ « أنا خائف منذ أسبوع .. »

كان منظر الرجل يوضح كلماته تمامًا .. وباستثناء المرة التى أعلن فيها عن مخاوفه ، لم يرفع رأسه إلى المحامى قط ..

ـ « لم أعد أتحمل هذا .. »

ـ « هلم .. أرى أن لديك سببًا واضحًا .. ثمة شىء لا تريد قوله .. فقله .. »

قال (بول) بصوت خشن :

ـ « أعتقد أن هناك لعبة قذرة .. »

صاح المحامى فى مزيج من الخوف والغضب :

ـ « لعبة قذرة ؟ أية لعبة قذرة ؟ »

ـ « لا أجسر على الكلام يا سيدى .. لكنك ستأتى وترى بنفسك .. »

كانت إجابة (أترسون) الوحيدة أن نهض وجلب قبعته والمعطف .. ولاحظ الارتياح البالغ الذى ظهر على وجه الخادم .

كانت ليلة باردة من مارس ذات قمر شاحب . جعلت الريح الكلام عسيرًا وبدا كأنما هى قامت بتنظيف المارة من الشوارع المزدحمة عادة . وتمنى (أترسون) لو كان هناك بشر ، فهو لم يشعر قط فى حياته برغبة كهذه كى يرى إخوته فى البشرية .. كان يتوقع كارثة .

حين وصلا الميدان كان مفعمًا بالغبار والريح ، وكانت الأشجار فى الحديقة تضرب الحواجز . هنا تراجع (بول)

الذى كان يتقدم المسيرة .. وبرغم البرد القارس نزع قبعته وأخرج منديلاً أحمر مسح به حاجبيه . لكن برغم سرعته لم تكن هذه قطرات عرق المجهود بل عرق الرعب .. لأن وجهه كان أبيض وصوته خشنًا مبحوحًا حين تكلم .

- « حسن يا سيدى .. ها نحن ذان .. وليحفظنا اللَّه من حدوث كارثة .. »

- « آمين يا (بول) .. »

قرع الخادم الباب فى توجس فجاء صوت من الداخل :

- « أهذا أنت يا (بول) ؟ »

- « كله على ما يرام .. افتحوا .. »

حين دخلا كانت الصالة مضاءة ، وقد وقف كل الخدم رجالاً ونساء كأنهم قطيع من الخراف . عندما رأوا مستر (أترسون) انفجرت مدبرة المنزل فى نشيج هستيرى ، وصرخت الطباخة :

- « تبارك اللَّه ! هذا هو مستر (أترسون) جاء لينقذنا ! »

سأل المحامى فى تعاسة :

- « ماذا ؟ هل كلكم هنا ؟ هذا لا يليق .. سيدكم لن يكون مسرورًا بهذا .. »

قال (بول) :

- « كلهم خائف .. »

ساد الصمت ورفعت الخادمة عقيرتها لتبكى ، فصاح بها (بول) :

- « اصمتى ! »

قالها بلهجة تشى بانهيار أعصابه ..

- « ناولونى شمعة حالاً .. »

ثم توسل إلى مستر (أترسون) كى يلحق به ، ومشى إلى الحديقة الخلفية .

ـ « الآن يا سيدى .. امش برفق قدر الإمكان .. أريد منك أن تَسمَع ولا تُسمَع .. واقبل نصحى يا سيدى .. لو طلب منك الدخول بأى شكل فلا تطعه .. »

هنا ارتجفت أعصاب مستر (أترسون) المتوترة حتى كاد يسقط أرضًا .. لكنه استجمع شجاعته ، ومشى وراء رئيس الخدم إلى المختبر وعبر غرفة الجراحة إلى أسفل الدرج .

هنا طلب منه (بول) أن ينتحى جانبًا وينصت .. بينما راح هو يدق القطيفة المبطنة للباب .

ـ « مستر (أترسون) يريد أن يراك يا سيدى .. »

رد عليه صوت متذمر من الداخل يقول :

ـ « قل له إننى لا أستطيع أن أرى أحدًا .. »

قال (بول) :

ـ « شكرًا يا سيدى .. »



هنا طلب منه (بول) أن ينتحى جانبًا وينصت .. بينما راح هو يدق القطيفة المبطنة للباب ..

بنوع من نغمة النصر فى صوته .. وآخذًا شمعته فى يده اقتاد مستر (أترسون) إلى الفناء إلى المطبخ. وقال له :

- « سيدى .. » - ونظر فى عينى مستر (أترسون) - « هل كان هذا صوت سيدى ؟ »

أجاب المحامى شاحبًا :

- « بدا مختلفًا جدًا .. »

- « مختلف ؟ نعم .. أعتقد هذا .. هل ظللت أخدم هذا الرجل عشرين عامًا كى أنخدع فى صوته ؟ لا يا سيدى .. لقد اغتيل سيدى .. اغتيل منذ ثمانية أيام .. حين سمعناه يستغيث بربه ، أما الموجود بالداخل فشىء لا يعلم سره إلا اللّه .. »

عضّ مستر (أترسون) إصبعه :

- « هذه قصة عجيبة يا (بول) .. قصة غريبة ياصديقى .. افترض أن د. (جيكل) - حسن - قد قتل .. فماذا يدفع القاتل إلى البقاء ؟ هذا لا يصمد للمنطق .. »

- « أنت رجل عسير الإقناع يامستر (أترسون) .. لكنى سأنجح فى إقناعك .. منذ أسبوع كان هو - أو الشىء - يصرخ فى مكتبه ليلاً ونهارًا طلبًا لدواء معين لكنه لا يذكر اسمه .. وكانت من عادات سيدى أن يكتب ما يريد فى ورقة ويلقيها على الدرج .. هذا الأسبوع لم نحصل على شىء إلا بعض الورق وبابًا موصدًا .. وحتى الوجبات تظل بالخارج إلى أن يتمكن من إدخالها حين لا يكون أحد هناك .. وطيلة اليوم يتم إرسالى إلى متاجر الكيماويات .. وكلما جلبت ما طلبه وجدت ورقة تطلب أن أرجعه لأنه ليس بالنقاء المطلوب .. هذا الدواء مطلوب بشدة يا سيدى أيًا كان الغرض منه .. »

- « هل لديك واحدة من تلك الأوراق ؟ »

مد المحامى يده فى جيبه وأخرج ورقة مجعدة .. فأدناها المحامى من الشمعة وقرأ :

- « د. جيكل يرسل تحياته للسادة (ماو) .. ويؤكد

لهم أن العينة الأخيرة لم تكن نقية أو ملائمة لغرضه .. وهو يرجوهم البحث عن المزيد من هذه المادة نقية ، فإن وجدوها يرسلوها إليه حالاً .. التكلفة ليست مهمة لأن أهمية المادة للدكتور لايمكن وصفها .. »

إلى هنا كان الخطاب متماسكًا ، وفجأة فقد الكاتب السيطرة على عواطفه فكتب :

ـ « باللّه عليكم .. اعثروا على بعض المادة القديمة .. »

قال مستر (أترسون) :

ـ « هذا خط الدكتور ولا مراء .. »

ـ « بدا لى شبيهًا به .. لكن ما أهمية الخط ؟ لقد رأيته ! »

كرر مستر (أترسون) :

ـ « رأيته ؟ حسن ؟ »

قال (بول) :

ـ « كذا .. كان من هذا الاتجاه .. جئت لقاعة الجراحة من الحديقة .. بدا أنه خرج للبحث عن عقار أو شىء ما لأن باب المكتب كان مفتوحًا .. وكان هو فى طرف القاعة يفتش فى الصناديق .. نظر لأعلى حين رآنى وأطلق نوعًا من الصراخ .. وهرع لأعلى حيث مكتبه . رأيته لما لايزيد على دقيقة لكن شعر رأسى تصلب .. سيدى .. لو كان هذا سيدى فلماذا يضع على وجهه قناعًا ؟ لو كان هذا سيدى فلماذا صرخ كفأر وجرى منى ؟ ثم .... »

هنا صمت الرجل ووضع يده على وجهه .

قال (أترسون) :

ـ « أعتقد أننى بدأت أرى النور .. إن سيدك يا (أترسون) مُصاب بواحد من تلك الأمراض التى تعذب وتشوه .. وهذا يفسر تغير صوته والقناع والعزلة وحاجته الملحة للدواء الذى يعتقد أنه خلاصه

الوحيد ، ولندع الله ألا يكون مخطئًا ! هذا تفسيرى يا (بول) .. غريب لكنه متماسك .. »

قال رئيس الخدم وقد شحب لونه :

ـ « هذا الشىء لم يكن سيدى .. هذه هى الحقيقة .. سيدى رجل متين البنيان فارع الطول .. وهذا كان أقرب لقزم .. »

حاول (أترسون) أن يعترض فقال (بول) :

ـ « هل تعتقد يا سيدى أنى لا أعرف سيدى بعد عشرين عامًا ؟ أتحسبنى لا أعرف ارتفاع رأسه بالنسبة لباب المكتب ؟ لا يا سيدى .. هذا الشىء بالقناع لم يكن د. (جيكل) .. يعلم الله من كان ، لكنه ليس د. (جيكل) .. وأنا أعتقد من سويداء قلبى أن هناك جريمة قتل .. »

أجاب المحامى :

ـ « (بول) .. لو كنت تقول هذا ، فمن واجبى أن

أتحقق .. هذه المذكرة تقول إنه ما زال حيًا .. من واجبى أن أهشم هذا الباب .. الآن السؤال الثانى : من يفعل هذا ؟ »

كانت الإجابة :

ـ « بالطبع أنت وأنا .. »

أجاب المحامى :

ـ « هذا كلام جميل .. ومهما ينجم سأعمل على ألا تخسر وظيفتك .. »

ـ « هناك فأس فى قاعة الجراحة ، ويمكنك أن تأخذ محراك المطبخ لنفسك .. »

أخذ المحامى تلكم الأداة الفظة لكن الثقيلة وتحقق من وزنها فى يده :

ـ « هل تعرف يا (بول) أنك وأنا مقدمان على التورط فى موقف خطر ؟»

ـ « يمكنك قول هذا بالفعل يا سيدى .. »

- « إذن يجب أن نكون أكثر صراحة فكلانا يفكر فيما هو أكثر مما يقول .. هذا الشىء الذى رأيته .. هل تعرفته ؟ »

قال (بول) :

- « لو كنت تقصد هل كان هذا مستر (هايد) ، فأنا أقول : نعم .. لقد كان له نفس الحجم .. ثم من سواه يستطيع أن يدخل من باب المختبر ؟ وليس هذا كل شىء يا مستر (أترسون) .. لا أعرف إن كنت قابلت مستر (هايد) من قبل ؟ »

قال المحامى :

- « نعم .. تكلمت معه مرة .. »

- « إذن تعرف مثلنا أن هناك شيئًا غريبًا بصدد هذا الرجل .. شيئًا لا يوصف لكنك تشعر به فى عظامك باردًا .. »

قال مستر (أترسون) :

- « أعترف أنى شعرت بشىء مما تصف .. »

- « حسن .. لقد شعرت بهذا الشعور حين رأيت الرجل ، وأنا واثق من أن هذا كان هو نفسه المستر (هايد) .. »

- « حسن .. استدع (برادشو) .. »

وجاء الخادم إثر استدعائه ، شاحبًا عصبيًا ، فقال المحامى :

- « تمالك نفسك يا (برادشو) . كلكم متوتر وأنا أعرف هذا ، لكن هدفنا أن نضع نهاية لهذا كله .. أنا و (بول) سنقتحم الباب لو سارت الأمور كما يجب .. فى نفس الوقت لو حدث خطأ ما أو حاول المجرم الفرار من الخلف ، فعليك والصبى أن تتأهبا ومعكما زوج من العصى الثقيلة ، وتتخذا موقفكما عند باب المختبر . أمامكما عشر دقائق لتتخذا موقعيكما .. »

ورحل (برادشو) فنظر المحامى إلى ساعته .. وأخذ عصا المحراك معه إلى الفناء . كان القمر قد توارى وساد ظلام دامس . كانت (لندن) تهمهم فى

صمت طيلة الوقت ولكن هنا لم يكن يقطع الصمت إلا صوت خطوات تذرع أرض المكتب جيئة وذهابًا .

همس (بول) :

ـ « سيظل يمشى طيلة الليل يا سيدى .. فقط حين تأتى عينات من متجر الكيميائى يستريح قليلاً .. إنه الضمير المريض عدو الراحة .. ولكن اصغ أكثر .. ضع قلبك فى أذنيك .. وقل لى .. هل هذه خطوات الدكتور ؟ »

تنهد (أترسون) .. فالخطوات كانت بالفعل بطيئة تختلف عن خطوات الطبيب السريعة التى تحدث صريرًا .

ـ « ذات مرة سمعته يبكى .. »

ـ « يبكى ؟ »

ـ « نعم .. كامرأة أو روح ضائعة .. »

مرت العشر دقائق ، فوقف (أترسون) خلف الباب وصاح :

ـ « (جيكل) .. إننى أطالب برؤيتك .. »

وصمت لحظة لكن لم يكن ثمة رد .

ـ « إننى أعطيتك إنذارًا كافيًا .. إننا نشك فى الأمر ويجب أن نراك ولسوف نفعل .. لو لم يكن بطريقة عادلة فبطريقة كريهة .. لو لم يكن بموافقتك فبالقوة الغاشمة ! »

هنا صاح الصوت :

ـ « (أترسون) ! من فضلك كن شفيقًا .. »

صاح (أترسون) :

ـ « آه .. ليس هذا صوت (جيكل) .. بل (هايد) .. عليك بالباب يا (بول) ! »

رفع (بول) الفأس وهوى به فارتجت البناية من

الصدمة .. ووثب الباب على مفصلاته . صدرت صرخة كئيبة كأنما هى من ذعر حيوانى . ومن جديد ارتفع الفأس وتهشمت الألواح ..

أربع مرات هوت فيها الضربات .. لكن الخشب كان صلبًا والإطار من نوع ممتاز .. فى الضربة الخامسة تهشم القفل ، وهوت شظايا الباب إلى البساط ..

تصلب المقتحمان للحظة وتراجعا للوراء .. هنا توجد الغرفة فى ضوء المصباح الهادئ .. ونار تتوهج فى المدفأة .. أوراق على منضدة العمل . المكان أهدأ مكان .. بل أكثرها عادية فى لندن هذه الليلة لو شئت أن تقول ذلك .

فى وسط الغرفة كان جسد رجل ما زال ينتفض .. اقتربا منه على أطراف أصابعهم وقلباه على ظهره فوجدا وجه (إدوارد هايد) .

كان مدثرًا بثياب واسعة عليه تناسب حجم

الطبيب .. كان قد مات لكن وجهه ما زال يتحرك فيما يشبه الحياة .. ومن الزجاجة المهشمة فى يده والرائحة فى هواء الغرفة ، عرف (أترسون) أنه يحملق فى منتحر ..

ـ « تأخرنا كثيرًا سواء بالنسبة للإنقاذ أو العقاب .. ولم يبق أمامنا إلا البحث عن جثة سيدك .. »

وبحث الرجلان فى كل مكان .. كانت الخزانات لاتحتاج إلا إلى نظرة واحدة لأنها كانت مليئة بالغبار ولم تفتَح من زمن .. أما العلبة فكانت تحوى الكثير من المهملات التى خلفها الجراح الذى سبق (جيكل) فى السكنى ، لكنهما أدركا ما إن فتحاها عدم جدوى البحث ، لأن نسيج عنكبوت عتيقًا سقط وكان يسد المدخل من أعوام . لا أثر للدكتور (جيكل) فى أى مكان حيًا أو ميتًا .

ضرب (بول) أرض الردهة بقدمه وقال :

ـ « لابد أنه مدفون هنا .. »

وكان الباب الذى يقود إلى الشارع الجانبى مغلقًا وقد سقط المفتاح بقربه .. وكان المفتاح محطمًا كأنما هناك من داس عليه .

وتبادل الرجلان النظرات فى خوف :

ـ « هذا يفوق فهمى يا (بول) .. لنعد إلى المكتب .. »

عاد الرجلان فى صمت ... وبدقة أكثر راحا يفتشان الغرفة .. على منضدة كانت بقايا كيماويات وملح معين موضوع فى أطباق ..

قال (بول) :

ـ « هذا هو العقار الذى كنت أجلبه له .. »

هنا سمعا براد الشاى يغلى .. كان كل شىء معدًا لاحتساء الشاى والسكر فى القدح . وكان هناك كتاب مفتوح جوار معدات الشاى ، وجد (أترسون) أنه كتاب دينى طالما أبدى (جيكل) تقديره له ، لكنه الآن كتب كلامًا مليئًا بالتجديف على الحواشى .

كانت هناك قارورة تغلى وقد قال (بول) :

ـ « هذه القارورة شهدت أشياء غريبة .. »

قال المحامى :

ـ « أشياء ليست أغرب منها .. ترى ماذا كان (جيكل) يفعل بها ؟ »

وعلى المكتب بين الأوراق ، كان مظروف يحمل اسم مستر (أترسون) بخط الطبيب نفسه .. فتحه المحامى فسقطت مرفقات كثيرة على الأرض .

أولها كان وصية كتبت بنفس البنود الغريبة التى كتب بها الوصية منذ ستة أشهر . لكن بدلاً من اسم (هايد) وجد المحامى اسم (جابرييل جون أترسون) . نظر (أترسون) فى دهشة إلى (بول) ثم إلى الورقة .. ثم إلى الشرير الميت الممدد على البساط .

قال :

ـ « رأسى يدور .. ما كان لديه سبب كى يحبنى فى

أيامه الأخيرة تلك .. لابد أن (هايد) غضب حين رأى اسمى على الوصية وكان بوسعه تدميرها .. »

أما الورقة التالية فكانت مذكرة بيد الطبيب عليها تاريخها .

صاح المحامى :

ـ « اوه يا بول .. لقد كان حيًّا اليوم ! لايمكن أن يتم التخلص منه بهذه السرعة .. لابد أنه حى .. لابد أنه فر .. ولكن لم فر ؟ ومتى ؟ »

ـ « لِمَ لا تقرأ المذكرة يا سيدى ؟ »

قال المحامى فى رهبة :

ـ « لكننى خائف .. يعلم اللّه أننى لا أعرف السبب .. »

وقرب الورقة من عينيه وراح يقرأ :

«عزيزى أترسون :

« حين تقع هذه الورقة فى يدك سأكون قد تواريت .. لا أملك اختراق الحجب لكن غريزتى وكل

ظروف هذا الموقف عديم الاسم ، تقول لى إن النهاية أكيدة ويجب أن تكون سريعة .

« اذهب واقرأ القصة التى وعدنى (لانيون) بأن يضعها بين يديك .. ولو أردت المزيد فاسمع اعترافات صديقك التعس غير الجدير بالصداقة ......

هنرى جيكل .. »

أما المرفق الثالث فكان طردًا صغيرًا مختومًا فى عدة مواضع ..

وضعه المحامى فى جيبه وقال :

ـ « لن أقول شيئًا . فلو كان سيدك فر أو مات فعلى الأقل أحافظ على سمعته .. إنها العاشرة الآن وسوف أعود إلى دارى لأطالع هذه الأوراق فى هدوء ، ثم أعود قبل منتصف الليل لنطلب الشرطة .. »

خرجا وأغلقا الباب .. وغادر المحامى إلى داره ليقرأ القصتين اللتين فيهما يكمن تفسير هذا اللغز ..

* * *

حكاية الدكتور لانيون

فى التاسع من يناير - أى منذ أربعة أيام الآن - تلقيت فى المساء خطابًا مسجلاً .. موجهًا لى بخط زميلى ورفيق دراستى (هنرى جيكل) . دهشت لهذا لأننا لم نعتد تبادل المراسلات قط .. لقد قابلت الرجل وتناولت العشاء معه أمس .. ولم أتصور شيئًا فى علاقتنا يبرر الطريقة الرسمية وتسجيل الخطاب . زادت المحتويات من دهشتى لأن الخطاب كان هكذا :

« 10 ديسمبر

« عزيزى (لانيون) :

« أنت واحد من أقدم أصدقائى ، ولربما اختلفنا حول نقاط علمية فى الماضى ، لكنى لا أذكر أية شروخ فى علاقتنا الودية . وما من مرة كنت ستقول لى فيها إن حياتك أو شرفك يعتمدان على ، إلا وضحيت بيدى

اليسرى لأساعدك .. والآن يا (لانيون) حياتى وشرفى وعقلى تحت رحمتك ..

« لو خذلتنى الليلة لضعت .. وأعتقد أنك ستحسب بعد هذه المقدمة أننى سأطلب شيئًا مسيئًا للشرف . يمكنك الحكم بنفسك .

« أريد منك أن تلغى ارتباطات الليلة حتى لو كنت مطلوبًا لفحص إمبراطور .. وأن تأخذ عربة أجرة وتأتى بهذا الخطاب إلى دارى . إن رئيس خدمى (بول) لديه أوامره .. لسوف تجده بانتظارك مع صانع أقفال . يجب أن يتم اقتحام باب مكتبى وتدخل وحدك . افتح القسم الذى عليه حرف E فإن اقتضت الضرورة حطم القفل . ثم خذ الدرج الثالث من أعلى بكل ما فيه من محتويات . أخشى أن أخطئ فى ارتباكى لكنك ستعرف الدرج الصحيح من محتوياته : بعض المساحيق وزجاجة .. أريد منك أن تأخذ هذا الدرج إلى بيتك بميدان (كافنديش) .. أريد أن يتم

هذا قبل منتصف الليل بفترة كافية . عند منتصف الليل أريد أن تكون وحيدًا فى غرفة الاستشارة الخاصة بك ، ثم تسمح بنفسك بالدخول لرجل سيقدم لك نفسه باسمى .. من ثم أعطه محتويات الدرج . هكذا تكون قد فعلت المطلوب واستحققت تقديرى الأبدى .

« لو أصررت على تفسير لهذا الذى يحدث ، فيكفى أن أقول لك إن هذه الأمور بالغة الأهمية ، ونسيان أحد هذه التفاصيل مهما كان غريبًا قد يثقل ضميرك بذنب موتى أو دمارى العقلى .. فكر فىّ وأنا مثقل بعذاب لا يمكن لمخلوق أن يتصوره .. فكر فى أن تنفيذ طلبى ينهى عذابى كأنه قصة حكيت وانتهت ..

صديقك

هـ. جـ.

ملحوظة : بعد ما أغلقت هذا الخطاب شعرت بهلع بالغ .. لربما خذلنى مكتب البريد ولم يصل الخطاب

لك إلا غدًا .. لهذا يا صديقى لا تنفذ المهمة إلا حين يناسبك ذلك فى أى وقت من النهار . »

قرأت هذا الخطاب فتيقنت من أن زميلى مخبول تمامًا .. لكن حتى يثبت هذا بلا شك فإن على أن أفعل ما يطلبه منى .. وأى طلب بهذا الإلحاح لايمكن تجاهله ..

نهضت واستقللت عربة (هانسوم)(*) وانطلقت إلى دار د. (جيكل) .. كان رئيس الخدم ينتظرنى هناك ومعه نجار وصانع أقفال . كان باب غرفة (جيكل) قويًا والقفل ممتازًا .. وأقسم النجار إنه سيضطر إلى إحداث تخريب كثير وكاد صانع الأقفال ييئس .. لكنه كان حرفيًا بارعًا وبعد ساعتين انفتح الباب ..

أخذت الدرج المتفق عليه وعدت به إلى ميدان (كافنديش) ..

(*) هى عربة بحصان وذات عجلتين يركب سائقها فى المؤخرة ، واسمها نسبة لمصممها (هانسوم)

هناك تفحصت محتوياتـه .. كـانت هنـاك بعض المساحيق لكن لم يبد أنها معدة بعناية كيميائى .. لهذا توقعت أنها من إعداد (جيكل) نفسه .. أما الزجاجة فكانت تحوى سائلاً أحمر كالدم نفاذ الرائحة .. أما الكتيب فكان مذكرات بها بعض ملاحظات تحت كل واحدة تاريخ معين . وقد لاحظت أن التواريخ تتوقف فجأة منذ عام مضى ..

كانت هناك كلمات تتكرر مثل كلمة « مرتين » التى تكررت ست مرات وسط عدة مئات من الملاحظات .. وثمة ملاحظة تقول « فشل تام !!!!!!! » .. والحقيقة أن فهمى للأمر لم يتحسن .. فهذا سجل تجارب تنتهى ـ ككل تجارب (جيكل) ـ بلا نتيجة عملية . كيف ينقذ وجود هذه الأشياء فى دارى سمعة وعقل وحياة زميلى الطائش ؟

لماذا لم يجلب هذه الأشياء بنفسه ؟ كلما راجعت القصة شعرت بأننى أتعامل مع حالة مرض عقلى ،

وبرغم أننى صرفت الخدم للنوم فإننى قمت بحشو مسدسى فى حالة ما إذا وجدت نفسى فى دفاع عن النفس ..

فلم تكد الساعة تدق الثانية عشرة حتى دوت الطرقات على بابى .. لبيت النداء فوجدت رجلاً صغير الحجم فسألته :

ـ « هل أنت من طرف د. جيكل ؟ »

فقال لى :

ـ « نعم .. »

بإشارة متحفظة ، وحين سمحت له بالدخول لم يطعنى إلا بعد ما ألقى نظرة خلفه على ظلام الميدان .. كان هناك رجل شرطة ليس بالبعيد يتقدم بعينيه الساهرتين مفتوحتين ، فشعرت كأن الرجل متعجل . هذه المقدمات أثارت ريبتى ، وإذ اقتدت الرجل إلى غرفة الاستشارة ظلت يدى على سلاحى . الآن بوسعى أن أراه بوضوح فإننى لم أره من قبل .



كان يرتدى ثيابًا يمكنها أن تجعل الشخص العادى موضعًا للسخرية ..

كان صغير الحجم ، لكن أثار رعبى بالتعبير على وجهه .. ذلك المزيج الغريب من القوة العضلية الهائلة والهزال . وأخيرًا وليس آخرًا ذلك الاضطراب الذى يسببه القرب منه .

هذا الرجل الذى أثار فى من اللحظة الأولى مايمكن أن نصفه بالفضول المتأفف ؛ كان يرتدى ثيابًا يمكنها أن تجعل الشخص العادى موضعًا للسخرية .. كانت ثيابًا غالية الثمن لكنها واسعة جدًا بالنسبة لحجمه .. السروال يتدلى على قدميه وقد ثنى الطرفان لمنعهما من لمس الأرض .. والياقة واسعة تغطى كتفيه .

لكن هذه المظاهر لم تثر رغبة الضحك فى .. فقد كان هناك شىء غير مريح وغامض فى هذا المخلوق الذى يقف أمامى .

لقد شعرت بفضول عارم كى أعرف كل شىء عن هذا الرجل .. موطنه .. تاريخه . ثروته .. هذه

الملاحظات تحتاج إلى مساحة كبيرة لكتابتها لكنها لم تستغرق أكثر من بضع ثوان ..

كان ضيفى على نار التوتر فى الواقع .. وصاح :

- « هل حصلت عليها ؟ »

كان متلهفًا إلى حد أنه وضع يده على ذراعى وهزها . أبعدت يده التى أشعر ببرودة ثلجية فى دمى .

- « لحظة يا سيدى .. لا تنس أننى لم أحظ بعد بمتعة معرفتك .. اجلس من فضلك .. »

وجلست لأعطيه مثالاً .. فقال :

- « أستميحك عذرًا يا د. (لانيون) .. إننى .. درج .. أفهم .. »

وتحسس حلقه فأدركت أنه يقاوم نوبة هستيريا قادمة ..

أشرت إلى الدرج الذى وضعته على الأرض وقد غطيته بملاءة .

وثب عليه ثم توقف ووضع يده على قلبه .. سمعت أسنانه تصطك ووجهه صار مخيفًا ، إلى حد أننى صرت خائفًا بصدد سلامة حياته وعقله .

ابتسم ابتسامة خائفة ثم أزاح الملاءة .. فما إن رأى المحتويات حتى أطلق شهقة ارتياح بالغة جعلتنى أجلس متحجرًا . ثم بصوت حاول أن يجعله متماسكًا قال :

- « هل لديك مخبار مدرج ؟ »

نهضت بشىء من الجهد وأعطيته ما طلب . فشكرنى بهزة رأس وقاس بضع قطرات من المحلول الأحمر ثم أضاف مسحوقًا .. بدأ الخليط يفور ويتصاعد منه بخار .. ثم هدأ التفاعل فراح ضيفى يرمق المشهد بعين راضية ثم نظر لى فاحصًا وقال :

- « الآن .. كى نحل المشاكل الباقية .. هلا كنت

عاقلاً ؟ هل تتركنى أغادر دارك حاملاً هذا دون تفسيرات ؟ أم أن الفضول يسيطر عليك ؟ فكر قبل أن تجيب لأن الأمر سيتم كما تريد .. ولسوف تبقى كما أنت لا أغنى ولا أحكم .. أو تفتح أمامك منطقة جديدة من المعرفة وطرقًا جديدة للشهرة والقوة .. هنا .. فى غرفتك .. ولسوف ترى أعجوبة قادرة على إفزاع الشيطان ذاته .. »

قلت بتماسك ليس عندى :

ـ « سيدى .. أنت تتكلم بالألغاز .. ولن يدهشك أن تجدنى أسمعك دون تصديق كبير .. لكنى تماديت فى طريق الخدمات التى لاتفسير لها ، حتى إننى لا أستطيع التوقف قبل أن أرى معنى هذا .. »

ـ « لسوف ترى يا (لانيون) .. أنت الذى لم تصدق قط .. أنت الذى لم تؤمن بالطب الخارق للطبيعة .. أنت الذى سخرت ممن هم أعلى منك علمًا .. انظر ! »

ووضع الكأس على شفتيه ورشف ..

هنا صرخ .. تلوى .. تشبث بالمنضدة .. محملقًا بعينين محتقنتين وهو يشهق .. وفجأة بدأ نوع من التغير يطرأ .. بدا كأنما ينتفخ .. صار وجهه داكنًا .. وبدا كأن ملامحه تذوب وتتغير .. وفى اللحظة التالية وثبت على قدمى ، والتصقت بالحائط .. وارتفعت يدى لتحمينى من هذه الأعجوبة .. واستحال عقلى رعبًا خالصًا ..

ـ « رباه ! »

كذا صرخت مرارًا ومرارًا ..

لأنه أمامى .. مترنحًا نصف فاقد الوعى يتشبث بيديه كأنه رجل يفيق من الموت ، كان (هنرى جيكل) !!

ما قاله لى فى الساعة التالية لا أستطيع أن أسترجعه لأدونه على الورق ، فقد رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت ، وتعذبت روحى منه ..

لكنى الآن بعد أن انتهى هذا المشهد ، مازلت أتساءل إن كنت أصدقه .. فلا أقدر على الإجابة .. لقد اهتزت حياتى حتى الجذور ، وفارقنى السبات .. وأشنع المخاوف تلاحقنى فى الليل والنهار ، وأشعر أن أيامى معدودة ...

لن أقول إلا شيئًا واحدًا يا (أترسون) .. ولو استطعت أن تجعل عقلك يصدقه سيكون هذا أكثر مما يكفى .. إن المخلوق الذى زحف لدارى فى تلك الليلة كان باعتراف (جيكل) معروفًا باسم (هايد) .. وهم يبحثون عنه فى كل ركن من الأرض باعتباره قاتل (كارو) ..

لانيون

* * *

تقرير د. (جيكل) الكامل عن القضية ..

ولدت فى العام ـ 18 مالكًا لثروة كبيرة ، أحظى باحترام الحكماء والخيرين من رفاقى ، وكان كل شىء يعد بمستقبل شريف متميز . وحقًا كانت أسوأ خطاياى هى ذلك المرح الطائش فى طباعى ، وهو ما كان يجلب السعادة لكثيرين ، لكنه كان يتعارض مع رغبتى فى أن أشمخ برأسى وأبدو فى مظهر جاد صارم أمام الناس .

هذا هو السبب الذى جعلنى أخفى متعى الخاصة ، وحين بلغت سن النضج وبدأت أبحث عن موضع فى العالم ، بدا كأنما أعيش ازدواجًا واضحًا فى حياتى . وكان رجال آخرون يعلنون عن هذه النواحى من حياتهم ، لكن الأهداف العليا التى رسمتها لنفسى ، جعلتنى أداريها شاعرًا بالعار .

بدأت أفكر بعمق وعناد فى قانون الحياة الصعب ، والذى هو أكثر ينابيع التوتر تدفقًا . وبرغم أننى كنت أتعامل بأسلوبين فإننى لم أكن منافقًا على الإطلاق .. كنت صادقًا مخلصًا فى الناحيتين ..

كنت أنا حين انغمست فى النزق والعار ، كما كنت أنا حين كنت أعمل نهارًا فى معالجة الألم والمعاناة . وكان من المصادفة أن مجال اهتماماتى العلمية ألقى بضوء على هذا الفهم الخاص للحرب الدائمة بين أجزائى المختلفة . وبدأت أتوصل إلى تلك الحقيقة .. أن الإنسان ليس واحدًا فى الحقيقة .. بل هو اثنان . أقول اثنين لأن معلوماتى لم تتجاوز هذا المدى . ولسوف يأتى بعدى من يجدون أن الإنسان مجموعة من الشخصيات المستقلة المتناقضة .

ومن الأيام الأولى لاهتماماتى العلمية ، بدأت أفكر - كحلم يقظة جميل - فى إمكانية أن أفصل الشخصيتين عن بعضهما .. هكذا تتخلص الحياة من كل ما يجعلها لا تطاق ..

سيتحرر الجزء الفاسد ليعيش حياته بلا لوم من توءمه المستقيم .. ويستمر المستقيم فى طريقه وعمله الخير .. ولا يثقل ضميره ما يفعله توءمه الشرير . من سوء الطالع أن هذين التوءمين يتصارعان دومًا فى أذهاننا .

كنت غارقًا فى هذه الأفكار ، حين ظهر ضوء جانبى على الموضوع من منضدة المختبر . ولسببين لن أدخل فى التفاصيل العلمية لاعترافى هذا .. أولاً لأننى أرغمت على أن أتعلم أن أعباء حياتنا مربوطة للأبد إلى عاتقنا ، فإن حاولنا الخلاص منها تسقط علينا من جديد بثقل أكبر .

ثانيًا لأن قصتى ستبين أن أبحاثى كانت غير مكتملة للأسف ..

يكفى أن أقول إننى حاولت أن أركّب عقارًا يفقد القوى التى تكون روحى سيطرتها ، لتسيطر قوى أخرى أعرفها جيدًا وآلفها لأنها تعبر عن عناصر أقل سموًا فى روحى ..

ترددت كثيرًا قبل أن أضعِ هذه النظرية محك الاختبار .. علمت أننى أجازف بالموت لكن إغراء اكتشاف فريد كهذا تغلب على الحذر .

كنت قد أعددت وصفتى ، وابتعت من متجر جملة للكيماويات ملحًا معينًا عرفت من تجاربى أنه آخر العناصر التى أريدها .

وفى ليلة مشئومة ركبت العناصر وراقبتها تفور ويتصاعد دخانها فى أنبوب اختبار .. وحين انتهى الغليان شربت السائل بشجاعة عجيبة .

تلا هذا ألم عظيم وشعور بالطحن فى عظامى .. وغثيان مميت .. ثم بدأت هذه الآلام تتلاشى بسرعة ، وعدت لنفسى كأنما أعود من سقم شديد .

كان شىء غريب فى حواسى .. شىء جديد لايمكن وصفه .. ومن جدته أنه ممتع إلى حد لا يوصف . شعرت بأننى أصغر سنًا وأخف وزنًا .. شعرت بخفة فى رأسى

ومجموعة من الصور تتلاحق فى خيالى .. حرية للروح مجهولة لكنها غير طاهرة ..

عرفت مع أول شهيق من هذه الحياة الجديدة أننى صرت أكثر شرًا .. أشر عشر مرات .. صرت عبدًا لشرى الخاص .. وشعرت كأنما هذه الفكرة تسكرنى ..

تأملت يدى جذلاً بطزاجة هذا الإحساس وهنا لاحظت أن بنيتى صارت أكثر ضآلة .. لم تكن هناك وقتها مرآة فى مكتبى كالتى بجانبى الآن وأنا أكتب ، والتى جلبتها خصيصًا لأدرس ما يطرأ علىّ من تغيرات ..

كان الخدم فى دارى نائمين ، من ثم قررت ـ مفعمًا بالأمل والنصر ـ أن أجرب أقصى مدى فى شكلى الجديد .. عبرت الباحة بينما النجوم تنظر لى . فكرت فى عجب أننى أول مخلوق من هذا الطراز يتبدى لعيونها الساهرة .

مشيت عبر الردهات غريبًا فى دارى ..

وإذ وصلت حجرتى رأيت للمرة الأول منظر (إدوارد هايد) .. هنا يجب أن أتكلم بشكل نظرى فقط ، فلا أقول ما أعرف ، بل ما أعتقد أنه الأكثر احتمالاً ..

إن الجزء الشرير من طبيعتى الذى تحولت له الآن ، كان أقل نموًا وأقل عنفوانًا من الجزء الطيب الذى تخلصت منه .. إن تسعة أعشار حياتى كان مخصصًا للكفاح والعمل والفضيلة ، لذا كان الجانب الشرير أقل تدريبًا وأقل إنهاكًا .. ولهذا يبدو أن (هايد) صار أقل حجمًا وأخف وأصغر سنًا من (جيكل) . وبينما كان الخير يشرق على وجه واحد فإن الشر كان مكتوبًا بوضوح على وجه الآخر . لقد ترك الشر على هذا الجسد علامة من التشوه والتحلل .

وبرغم هذا كلما نظرت لهذا الوجه القبيح فى

المرآة لم أكن أشعر بنفور ، بل بالأحرى أشعر بنوع من الترحيب . هذا أيضًا كان أنا .. بدا لى طبيعيًا وبشريًا . بدا لى أقوى تعبيرًا وأحاديًا بالنسبة للسحنة المزدوجة التى اعتدت أن أعتبرها سحنتى .

ولقد لاحظت أننى حين أصير (هايد) فما من أحد يجسر على الاقتراب منى دون قشعريرة أولية غير مقصودة .. وقد قدرت أن هذا بسبب أن البشر جميعًا خليط من الشر والخير .. وكان (هايد) وحده بين البشر شرًا خالصًا ..

كانت تجربتى الثانية تنتظر .. كان على أن أعرف إن كنت قد فقدت شخصيتى بشكل لايمكن استعادته ، وعلى أن أهرب قبل شروق الشمس من بيت لم يعد بيتى ..

هرعت إلى مكتبى فأعددت القدح ثانية وشربته ..

ومن جديد عاد الألم .. وعدت لنفسى بشخصية وقامة ووجه (هنرى جيكل) ..

فى تلك الليلة وصلت إلى مفترق الطريق الخطر .

لو كنت وجدت اكتشافى بروح أكثر نبلاً أو مدفوعًا بنوايا شهمة ، لكان كل شىء مختلفًا .

لم يكن العقار شيطانيًا ولا ملائكيًا .. فقط هز باب سجن طباعى .. ليخرج منه (إدوارد هايد) .

كنت أتقدم فى السن معروفًا محترمًا .. بينما كانت رغباتى شريرة بحق .. وهذ التناقض الخطر فى حياتى يزداد سوءًا يوميًا . هنا أغرتنى قواى الجديدة حتى إننى صرت عبدًا لها . لم يعد لدى خيار إلا أن أشرب السائل لأودع فورًا جسد البروفيسور المحترم ، وألبس عباءة (إدوارد هايد) .

قمت بفرش وإعداد ذلك المنزل فى (سوهو) .. ووجدت لنفسى مديرة منزل أعرف أنها صموت وبلاضمير . فى الوقت ذاته أخبرت خدمى أن من يدعى المستر (هايد) ـ وصفته لهم ـ يملك الحرية

الكاملة للتصرف فى بيتى .. بل وزرتهم وجعلت من شخصيتى الثانية شيئًا مألوفًا لديهم ..

ثم كتبت تلكم الوصية .. بحيث لو حدث شىء لـ (جيكل) يمكننى أن أعيش كـ (هايد) دونما خسارة مالية . وهكذا تحصنت كما تصورت ، من كل جانب .. وبدأت أنتفع بالحصانة الجديدة لوضعى .

فيما مضى كان الناس يستأجرون قتلة مأجورين يقومون بجرائمهم بينما سمعتهم فى مأمن .. كنت أول من فعل هذا لمتعته الخاصة . أمشى وسط الناس محترمًا ، ثم أنزع هذه الأشياء بلمحة بصر وأغطس فى بحر الحرية .

كنت فى أمان كامل .. فكر فى هذا .. إننى حتى غير موجود !

دعنى أعبر باب مختبرى .. أعطنى ثانية .. ومهما فعل (هايد) فإنه يتلاشى كبقعة بخار على مرآة .. ثم تجد فى المختبر رجلاً محترمًا يسخر من أية شبهة هو (هنرى جيكل) ..

إن المسرات التى بحثت عنها كما قلت كانت منحطة .. وحين كنت أعود من إحدى جولاتى كنت أشعر بدهشة من فسادى ..

إن (هنرى جيكل) كان يقف أحيانًا مشدوهًا من أفعال (هايد) . لكن الأمر كان لا يخضع للقوانين العادية وقد تجاوز مقاييس الضمير . كان (هايد) وحده هو المذنب .. بينما (جيكل) يعيش حياته الطيبة وربما يسارع بإصلاح ما أحدثه (هايد) من أذى ..

لن أدخل فى تفاصيل الحياة الشائنة التى عشتها فأنا لا أعتبر أننى كنت مسئولاً عنها ..

فقط أذكر حادثًا عابرًا من القسوة نحو طفلة ، سبب حنق أحد العابرين ، وقد اتضح لى فيما بعد أنه قريب لك .. وكان على كى أهدئ المتجمهرين وأحقظ حياتى أن آتى بهم إلى الباب .. ثم أدفع لهم شيكًا باسم (جيكل) ..

لكنى أفلتت من هذا الخطر سريعًا إذ فتحت حسابًا فى مصرف مختلف باسم (هايد) نفسه .. وعن طريق إمالة يدى قليلاً للوراء صار هناك توقيع لقرينى هذا ..

قبل مصرع سير (دانفرز) بشهرين ، خرجت طلبًا لبعض مغامراتى .. وعدت فى ساعة متأخرة ..

فى اليوم التالى صحوت فى فراشى شاعرًا بشىء غريب .. رأيت الحجرة الفاخرة والستائر لكن شيئًا ظل يقول لى إننى لست حيث يجب أن أكون . بل إنى فى تلك الغرفة الصغيرة فى حى (سوهو) حيث اعتدت النوم فى جسد (هايد) .

رحت أفكر فى هذا الشعور الغريب وأنا من حين لآخر أغيب فى واحدة من نوبات نعاس الفجر اللذيذة ، وفجأة فى إحدى لحظات اليقظة نظرت إلى يدى ..

إن اليد التى هى يد (هنرى جيكل) كانت تبدو كيد محترف .. كبيرة بيضاء ثابتة مليحة .. لكن اليد التى أراها الآن فى الضوء الأصفر لنهار (لندن) هى يد شاحبة عليها بقع كثيفة من الشعر .

كانت يد (هايد) .

لابد أننى ظللت أنظر لها نصف دقيقة ، فى شعور غامر بالذهول قبل أن يتملكنى الرعب .. مفاجئًا كأنه قرع الصنج الموسيقية . لقد استحال دمى شيئًا باردًا رقيق القوام .

حسن .. لقد دخلت إلى الفراش وأنا (هنرى جيكل) وصحوت (إدوارد هايد) .. ما تفسير هذا ؟

ثم بمزيد من الرعب تساءلت عن كيفية علاج هذا ..

كنا فى الصباح ، والخدم متيقظون ، وأدويتى فى المكتب .. وهى رحلة عبر سلمين خلال الفناء الخلفى .. وأن أعبر الممر الخلفى والمشرحة .

ربما كان ممكنًا أن أغطى وجهى ؛ لكن أى جدوى لهذا إذا كان مستحيلاً أن أدارى تغير قامتى ؟

ثم - شاعرًا براحة كبيرة - تذكرت أن الخدم اعتادوا مجىء وذهاب نصفى الآخر .. ارتديت ثيابى على قدر

الإمكان .. وعبرت المنزل حيث تراجع (برادشاو) مندهشًا من رؤية (هايد) فى هذه الساعة وفى هذه الثياب الغريبة .

وبعد عشر دقائق كان د. (جيكل) قد عاد لمظهره وجلس يتظاهر بتناول طعام الإفطار .

كانت شهيتى معدومة .. إن هذا الحادث غير القابل للتفسير .. هذا الانعكاس فى خبرتى السابقة ، بدا كأنما يفقدنى قدرتى على الحكم .. وبدأت أفكر فى عمق فى موضوع وجودى المزدوج .

لقد تدرب ذلك الجزء من ذاتى كثيرًا وتغذى .. لقد لاحظت مؤخرًا كأن جسد (هايد) قد صار أضخم وأكبر .. وكأنما كنت ألاحظ وأنا فى شخصيته أن الدماء تجرى فى عروقه أكثر سخاء .. وبدأت أشعر بخطر بأنه لو طال الأمر فلربما اختل توازن شخصيتى ..

ستصير شخصية (هايد) هى شخصيتى الأساسية ..

لم تكن قوة العقار مطلقة ، فقد خذلنى مرة .. وهكذا احتجت أحيانًا إلى أن أضاعف الجرعة ، وأحيانًا ـ برغم خطر الموت ـ إلى أن أضاعفه ثلاث مرات .. وقد ألقت هذه المرات بظلالها على رضاى عن النتائج ..

إلا أنى فى ضوء هذه التجربة الصباحية ، بدأت ألاحظ أنه لو كانت الصعوبة فى البداية تكمن فى الخلاص من جسد (جيكل) ، فقد بدأت تتخذ وجهة أخرى ..

بدأ كل شىء يشير لهذا .. كنت أفقد التحكم فى جزئى الأفضل والأصلى وبدأت أندمج فى جزئى الثانى الأسوأ .. وكان على أن أختار أحد الاثنين ..

كان لنصفىَ ذاكرة مشتركة ، لكن الخصائص الأخرى لم تكن مقسمة بالتساوى ..

(جيكل) كان شخصية مركبة فيها ميل جشع ، وقد شاركت (هايد) مسراته ومغامراته .. لكن (هايد) لم

يكن يعبأ بـ (جيكل) لكنه يتذكره كما يتذكر لص الجبال الكهف الذى يتوارى فيه ..

(جيكل) فيه اهتمام الأب .. و(هايد) فيه لا مبالاة الابن ..

أن أكون (جيكل) معناه أن أفقد إشباع الرغبات التى بدأت أشبعها .. وأن أكون (هايد) معناه أن أقضى حياتى كريهًا محتقرًا بلا أصدقاء ..

إن الصفقة لا تبدو عادلة .. لكن هناك اعتبارًا آخر .. لو فقدت (هايد) فإن (جيكل) سيعانى الحرمان طيلة حياته ، بينما لو فقدت (جيكل) فلن يشعر (هايد) بفداحة ما فقده ..

هذا صراع قديم جدًا فى ضمير البشرية ، لكننى اخترت كما سيختار أكثر رفاقى الجزء الخير منى .. فضلت الطبيب المسن غير القانع الذى يحيط به الأصدقاء ، وودعت التحرر إلى الأبد .. وودعت الشباب والخطوات الوثابة والمتع الخفية التى عرفتها حين كنت (هايد) ..

قمت بهذا الاختيار بتحفظ غير واع .. لأننى لم أتخل عن الغرفة فى (سوهو) ولا دمرت ثياب (هايد) التى ظلت جاهزة فى خزانتى ..

ولمدة شهرين كنت صادق العزم ..

ولمدة شهرين عشت حياة تعوضها تلك المتع التى يقبلها الضمير ..

لكن مع الزمن بدأ ذعرى الأول يضمحل ..

بدأت تعذبنى آلام الحنين والشوق .. كأنما (هايد) يقاتل من أجل استرداد حريته ..

فى النهاية بعد ساعة من الوهن الأخلاقى ، ركبت وابتلعت العقار ..

كانت المشكلة أن هذا الشيطان بداخلى كان مقيدًا لفترة طويلة ، لهذا خرج من مكمنه يزأر .. كنت أدرك حتى وأنا آخذ العقار أن هناك قوة جديدة لا يمكن كبح جماحها ..

لابد أن هذه القوة هى ما حرك فى روحى عاصفة نفاد الصبر التى قابلت بها الأدب الجم لضحيتى ..

وأقر أمام اللّه أنه ما من رجل عاقل كان سيفقد صوابه أمام استفزاز بسيط كهذا .. لقد ضربت الرجل بلا تعقل كأننى طفل يحطم لعبة .

لكننى كنت قد تحررت من كل غرائز التعقل .. تلك التى يمضى بها أكثرنا سوءًا ثابتًا أمام الإغراءات . وفى حالتى كان خضوعى للإغراء ولو بشكل بسيط يعنى السقوط ..

لقد صحت روح الجحيم فىّ وثارت .. وبلمح البصر شوهت الجسد المستسلم شاعرًا بالسعادة لدى كل ضربة .. واستغرقت وقتًا طويلاً حتى غلبنى التعب ، عندها فقط توقفت شاعرًا برعب بارد ..

إذ زال الضباب شعرت بأن حياتى قد ضاعت هباء ، وفررتُ من مسرح الجريمة .. ارتعد ..



بعد قليل كان (هايد) يدندن أغنية بينما هو يخلط العقار ويشربه فى نخب الميت ..

ازدادت شهوتى للشر ، فركضت إلى بيت (سوهو) ، وأضرمت النيران فى كل أوراقى ..

ثم انطلقت فى الشوارع التى تنيرها المصابيح ، شاعرًا برضا عن جريمتى ، أصمم المزيد منها فى المستقبل .. برغم هذا أسرع الركض مصغيًا لأصوات خطى من يقتفون أثرى ..

بعد قليل كان (هايد) يدندن أغنية بينما هو يخلط العقار ويشربه فى نخب الميت ..

وسرعان ما جثا (هنرى جيكل) على ركبتيه دامع العينين ، ورفع يديه إلى اللّه شاكرًا .. لقد رأيت حياتى كاملة وقتها .. منذ الطفولة حين مشيت ويدى فى يد أبى ، ثم حياتى المهنية المنكرة للذات ، حتى وصلت ـ شاعرًا بأن هذا كله غير حقيقى ـ إلى أهوال ليلتى هذه ..

كدت أصرخ هلعًا ..

وحاولت بالدموع والدعاء أن أسكت طوفان الصور والأصوات التى راحت ذاكرتى تبثها فى .. وبين الدعاء كانت الصورة المرعبة لآثامى تحملق فى روحى ..

فلما بدأ هذا التبكيت يتلاشى ، تلاه شعور بالبهجة .. لقد انتهت مشكلتى .. لقد صار (هايد) من الآن مستحيلاً سواء أردت أو لم أرد .. لقد صرت مجبرًا على البقاء فى الجزء الطيب من ذاتى ..

لقد تقبلت فى تواضع قيود الحياة الطبيعية .. أوصدت الباب الذى اعتدت أن أخرج وأدخل منه وهشمت المفتاح ..

فى اليوم التالى جاءت أخبار أن الجرم شوهد ، وأن ذنب (هايد) واضح للعالم .. وأن القتيل كان معروفًا عالى القدر . لم تكن جريمة بل كانت حماقة مأساوية ..

أعتقد أننى سررت لمعرفة هذا .. لقد صار (جيكل)

هو ملجئى .. دع (هايد) يخرج رأسه لثانية واحدة ولسوف تبرز أيادى القوم كى تقبض عليه وتقتله .

أزمعت فى المستقبل أن أتحرر من الماضى . ويمكن القول بأمانة إنى نجحت إلى حد ما .

أنت تعرف كيف كانت الشهور الأخيرة من العام الأخير من حياتى .. لقد عملت جاهدًا على تخفيف معاناة الناس وأنت تعرف هذا .. تعرف أننى فعلت الكثير للآخرين وأن أيامى كانت هادئة ..

لا يمكن القول إننى تعبت من تلك الحياة الطاهرة النافعة . وأعتقد بدلاً من هذا أننى نعمت بها حقًا . لكننى كنت برغم هذا مثقلاً بالازدواجية ، فلما بدأ ندمى السابق يضعف بدأ الجزء المنحط منى ، والذى وجد نفسه مكبلاً بالأصفاد فى الفترة الأخيرة ، بدأ يزأر طالبًا الترخيص له بالانطلاق .

كلا لم أفكر فى إحياء (هايد) ..

إن تلك الفكرة كانت ستسلمنى للجنون ..

كان الأمر يتعلق بشخصى أنا .. لقد تصرفت كخاطئ عادى يعيش خطاياه سرًا ، وبسهولة سقطت فريسة الإغراء .

هناك نهاية لكل شىء .. وأى وعاء مهما كان واسعًا يمتلئ فى النهاية ..

لقد أدى استسلامى للشر إلى إفساد توازن روحى .. وبدا لى السقوط طبيعيًا .. كأنه عودة للأيام القديمة قبل أن أكتشف هذا الكشف .

كان يومًا صافيًا من شهر يناير حيث ذاب الجليد تحت قدمى ، لكن لا غيوم فى السماء . وكانت حديقة (ريجنت) مفعمة بأصوات طيور الشتاء وروائح الربيع .

جلست فى الشمس على مقعد بينما الحيوان فى داخلى يلعق لحم الذاكرة .. والجزء الروحى منى قد صار خاملاً يعد بالتوبة لكنه لا يتحرك .

رحت أقارن نفسى بالجالسين حولى .. أقارن عزيمتى الصادقة مع خمولهم ..

فى هذه اللحظة انتابتنى نوبة من تأنيب الضمير .. شعرت بغثيان مروع ورجفة عاتية .. ثم زالت الرجفة وبدأت ألاحظ تبدلاً فى طباعى .. المزيد من الجرأة .. احتقار للخطر .. تحرر من الالتزام ..

نظرت لأسفل فوجدت أن ثيابى تتدلى بلا شكل حول أطرافى الضامرة ..

اليد التى على ركبتى مجعدة مشعرة ..

لقد صرت من جديد (إدوارد هايد) ..

منذ لحظة كنت آمنًا محترمًا محبوبًا .. الآن صرت مطاردًا بلا بيت .. وقاتلاً معروفًا تطاردنى المشانق ..

اهتز صوابى لكنه لم يخذلنى تمامًا .. لقد لاحظت فى شخصيتى الثانية أن طباعى مرهفة ، مرنة ..

ولعل هذا هو السبب فى أنه حين عجز (جيكل) عن الاستمرار ، تولى (هايد) المسئولية ..

أدويتى كانت فى مكتبى ، فمن أين لى أن أحضرها ؟ كانت هذه هى المشكلة التي أوشكت معها أن أهشم صدغى بين كفى ..

لقد أوصدت باب المختبر ، ولو حاولت الدخول من الباب الرئيسى لأمسك بى خدمى واقتادونى إلى المشنقة .. كان على أن ألجأ لشخص آخر .. وفكرت فى (لانيون) ..

لكن كيف أصل إليه ؟ كيف أصل إلى مكانه ؟ وكيف لى - وأنا زائر مجهول غير مريح - أن أكشف له عن كشف زميله ومنافسه (جيكل) ؟

هنا تذكرت أن شيئًا بقى لى من شخصيتى الأصلية ، وهو القدرة على الكتابة بنفس الخط .. وهكذا صار الطريق واضحًا أمامى ..

قمت بترتيب ثيابى قدر ما استطعت ، وركبت (هانسوم) عابرة .. وانطلقت إلى فندق فى شارع (بورتلاند) .

كان شكلى مضحكًا برغم أن هذه الثياب تدارى مأساة حقيقية ، فلم يستطع السائق أن يخفى ضحكته . ضغطت على أسنانى ونظرت له بنوع من الغضب الشيطانى ففرت البسمة من وجهه .. وهذا من حسن حظه وحظى أيضًا .. لأنه فى ظروف أخرى كنت كفيلاً بأن أجره من مقعد السائق لأقتله .

دخلت الخان بسحنة كئيبة جعلت الموجودين يرتجفون فرقًا .. لم يتبادلوا نظرة واحدة فى محضرى ..

نفذوا أوامرى واقتادونى لغرفة خاصة .. حيث قدموا لى ما أكتب عليه ..

كان (هايد) المدافع عن حياته مخلوقًا جديدًا بالنسبة لى .. يهزه غضب غير عادى .. نهمًا كى يؤلم الآخرين ..

لكن المخلوق كان برغم هذا عاقلاً يتحكم فى غضبه بإرادة قوية .. كتب خطابين أحدهما لـ (لانيون) والآخر لـ (بول) .. وأرسل الخطابين مع تعليمات صارمة بأن يتم تسجيلهما ..

جلس طيلة اليوم فى الغرفة الخاصة ، يقضم أظفاره ..

هناك تناول العشاء وجلس وحده مع مخاوفه ..

وفى المساء انطلق فى عربة أجرة مغطاة تذرع شوارع المدينة ..

لا أستطيع القول إن طفل الجحيم هذا كان لا يملك أية صفة بشرية .. لا شئ فيه إلا الخوف والمقت ..

هاتان العاطفتان تضطربان فى صدره كالعاصفة ..

فى النهاية حين شعر أن السائق مرتاب ، قام بصرف العربة ومشى على قدميه .. ملفتًا للنظر بثيابه الواسعة الغريبة ..

مشى بسرعة تطارده مخاوفه .. يتوارى فى الشوارع الأقل ازدحامًا .. بعد الدقائق التى تفصله عن منتصف الليل ..

ذات مرة كلمته امرأة .. تعرض عليه على ما أذكر علب ثقاب .. لكمها فى وجهها ففرت هلعًا ..

حين عدت لنفسى فى دار (لانيون) ، ربما أثر فى رعب صاحبى نوعًا ..

لقد طرأ على تغير .. لم أعد أخشى المشنقة .. بل كنت أخشى أن أصير (هايد) ثانية ..

وكأننى فى حلم سمعت استنكار (لانيون) لتجربتى ، وكأنما فى حلم عدت لدارى وفراشى .. نمت بعد إرهاق النهار نومًا عميقًا لم تستطع حتى الكوابيس الكثيرة أن تفيقنى منه ..

وفى الصباح نهضت واهنًا لكننى كنت منتعشًا ..

ما زلت أمقت فكرة الوحش الذى ينام داخلى ..

ولم أنس مخاطر اليوم الفائت .. لكنى كنت فى دارى قريبًا من أدويتى .

كنت أمشى فى الفسحة بعد الإفطار أنهل الهواء البارد فى نهم .. حين شعرت فجأة بتلك الأحاسيس التى لا يمكن وصفها والتى تسبق التحول ..

لم أجد الوقت الكافى إلا للدخول إلى مكتبى حتى بدأت من جديد أتلوى برغبات (هايد) ..

احتجت فى هذه المرة إلى جرعة مضاعفة كى أعود إلى نفسى ..

لكن للأسف ! بعد ست ساعات وأنا جالس أرمق النار ، بدأت الآلام من جديد .. واستعملت العقار من جديد ..

باختصار فى الأيام التالية صار من الصعب جدًا ، وبمعونة العقار فقط ، أن أحتفظ بالدكتور (جيكل) ..

صار من الممكن فى أية لحظة .. بل إذا غفوت قليلاً فى مقعدى أن أنهض غالبًا لأجد أننى قد صرت (هايد) ..

ونتيجة لهذه اللعنة المستمرة والأرق الذى حكمت به على نفسى ، أكثر مما ظننت ممكنًا للإنسان .. صرت بالفعل إنسانًا منهكًا أفرغته الحمى من محتواه .. واهنًا فى العقل والجسد .. ولا يفكر إلا فى شىء واحد .. الخوف من ذاتى الأخرى ..

يبدو أن قوى (هايد) كانت تنمو على حساب (جيكل) .. ويبدو أن كراهية متبادلة نشأت بينهما ..

من ناحية (جيكل) كان الأمر غريزيًا ، فهو قد رأى تشوه المخلوق الذى يقاسمه بعض مظاهر الوعى .. وسوف يموت معه .

كان يفكر فى (هايد) بكل قدراته على الحياة ، باعتباره شيئًا جهنميًا وغير مادى .. والأسوأ أن هذا الشىء المخيف هو أقرب إليه من صديق أو زوجة .. إنه تحت جلده .. وهو ينتظر أية لحظة كى يبرز ويزيحه هو من الصورة ..

بينما كان كره (هايد) لأسباب مختلفة .. كان مضطرًا للاستعانة بـ (جيكل) كى يهرب من المشنقة ، وكان يعرف أنه مكروه ..

لهذا كان يعبث بى .. يخط الذاءات والهرطقات على هوامش كتبى .. يحرق خطاباتى .. يدمر صورة أبى .. ولو لم يكن يخاف الموت لقتل نفسه كى يقتلنى معه ..

لكن حبه للحياة مذهل ..

حين أفكر فى تشبثه المذهل بالحياة .. وفى خوفه الشديد من أن أحاول فى لحظة قنوط أن أقتل نفسى كى أزيله من الوجود .. عندها أشعر نحوه ببعض الشفقة .

لكن مشكلتى الحقيقية هى أن مخزونى من الملح الذى لم أجدده منذ بدأت تجاربى ، بدأ ينفد .

أرسلت طلبًا للمزيد منه ومزجت الخليط .. بدأ الفوران .. وعلى الفور شربته لكنه كان بلا جدوى ..

لسوف تعرف من (بول) كيف أننى نقبت لندن كلها ..

كل هذا كان بلا جدوى ، وإننى لأعتقد الآن أن ما جربت من ملح أولاً كان غير نقى ، وهذه الشوائب المجهولة هى التى أنجحت التجربة ..

مر أسبوع ، وهأنذا أنهى آخر هذه الأوراق تحت تأثير ما بقى لدى من ملح ..

هذه آخر مرة ـ ما لم تحدث معجزة ـ يفكر فيها (جيكل) أفكاره الخاصة أو يرى وجهه فى المرآة ..

لقد وجب أن أنهى قصتى ، لأنه لو حدث التحول الآن فلن تنجو هذه الأوراق من التدمير إلا بمعجزة . لأن (هايد) بأنانيته المذهلة سيمزقها شر ممزق .

والحقيقة أن المصير المظلم الذى يطبق علينا ، قد آذاه كما آذانى ..

بعد نصف ساعة من الآن حين أصير من جديد

- وللأبد - هذه الشخصية الكريهة .. أعرف كيف سأجلس باكيًا فى مقعدى أو أنهض وأذرع هذه الغرفة (آخر ملجأ لى على الأرض) جيئة وذهابًا متربصًا لأى صوت مهدد من الخارج ..

هل يموت (هايد) على المشنقة ؟ أم يجد الشجاعة لينقذ نفسه فى اللحظة الأخيرة ؟

اللَّه وحده يعلم .. أما أنا فلا أهتم .. هذه هى لحظة موتى الحقيقية .. وما سيحدث بعد هذا هو من شأن شخص آخر سواى ..

الآن إذ أضع القلم وأنهى اعترافى، إنما أضع نهاية لحياة ذلك التعس (هنرى جيكل) .

ر . ل . ستيفنسون - 1886

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

دكتور جيكل ومستر هايد

48

ثمة تغيرات غير مفهومة قد طرأت على د. (جيكل) الرجل المهذب المحبوب .. لماذا يوصي بكل ما يملك للمستر (هايد) ؟ .. لماذا يثق بذلك الرجل ثقة عمياء ؟ .. لماذا يعطيه مفتاح داره ومختبره ؟ .. لماذا يتستر على جرائمه جميعًا ؟ .. ومن هو ذلك المستر (هايد) ؟ .. ولماذا ظهر فجأة ليملأ شوارع (لندن) الضبابية رعبًا وتوجسًا ؟ ..



الثمن في مصر ٢٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
حكايات مارك توين

